دور عربان البحيرة في مقاومة الحملة الفرنسية
١٧٩٨ - ١٨٠١م

د/محمد عبد الحميد الحناوي
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد

أولاً : أصول عربان البحيرة ودورهم الاقتصادي :

شكل العربان فئة من أكبر فئات مجتمع إقليم البحيرة في عصر الحملة الفرنسية ١٧٩٨- ١٨٠١م؛وقد بلغ عددهم آنذاك حوالي ثلاثين ألف نفس تقريباً، وهم من العرب الوافدين من شبه الجزيرة العربية على فترات متباعدة منذ مصاحبتهم للفتح الإسلامي لمصر ؛ومن القبائل المغربية التى هاجرت إلى مصر منذ مجيء الفاطميين إليها .

ولما كان عدد سكان إقليم البحيرة في عصر الحملة لم يكن يتجاوز كثيراً ثلاثمائة ألف نسمة في حين أن تعداد البلدان المصرية جميعها قدره العلماء الفرنسيون بنحو ٢,٥مليون نسمة؛وبذلك يمكن القول بأن عربان البحيرة مثلوا نحو ١٠%من تعداد سكان الإقليم (١) .

وقد قدر البعض عربان مصر كلها بنحو ٦٠ قبيلة مجمل أفرادها مائة ألف نسمة تقريباً ؛ تضم البحيرة بمفردها ما يقارب من ٢٠ قبيلة مما يمثل نحو ثلث أعداد القبائل التي تعيش على أرض البلاد المصرية وصحراواتها (٢) .

ولعل أهم تلك القبائل التي عاشت في البحيرة منذ أواخر القرن الثامن عشر الميلادي ولم تكن قد استقرت استقرار كاملاً في أنحاء الإقليم هي :

١- **قبيلة السعادى(أبو الليل)** : وينتسبون إلى إمراة من بنى هلال تسمى سعدة،وقد استقروا في أنحاء متفرقة من الإقليم (٣) ، ويتسم أفرادها التي تتفرع إلى عدة قبائل بالروح القتالية ،وعشق الحروب (٤)ولذلك كان دورهم بارزاً في مقاومة الحملة الفرنسية وقد تفرع عن هذه القبيلة الأم عدة أفرع منها :

أ- **قبيلة السلامة (بنو سليم)**:وهى إحدى الفروع الرئيسية لقبيلة السعادى ،وقد وفدت إلى صعيد مصر في البداية من بلاد المغرب ونتيجة لأنها أحدثت بعض القلاقل خلال العصر الفاطمي فقد أخرجها الخليفة المستنصر بالله من مصر إلى المغرب مرة أخرى،

حتى عاد بعضهم إلى البحيرة ليستقروا بها منذ مطلع القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) (٥) .

وتنقسم قبيلة السلالمة إلى فروع ثلاث وهى :

١-**بنى عونة (بنى عون)** : وقد جاءوا إلى إقليم البحيرة من طرابلس الغرب في أواخر القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) (٦) ، وإلى بنى عونة ينتمي الحمامدة الذين كانوا يقيمون أيضاً في البحيرة ومنطقة الثغر السكندري(٧) ، وقد قدر الفرنسيون قوتهم القتالية بنحو ٣٥٠ فارس محارب (٨) .

٢- **الهنادى:** وهى من أولى القبائل التي هاجرت من طرابلس الغرب في القرن الثانى عشر الهجرى (الثامن عشر الميلادي) واستقر كثير من أفرادها بصحراوات مصر الغربية وإقليم البحيرة (٩) وقد وصفهم الفرنسيون بأنهم من أقوى وأعنف قبائل العربان في إقليم البحيرة (١٠) ، وقد بلغ تعداد أفرادهم في عهد الحملة الفرنسية حوالي ٣٠ ألف نسمة، وفرسانهم أكثر من ثمانمائة فارس (١١) .

٣- **الجبالية** : وينسب إليهم (الجبالى) ، وقد استقرت مجموعات كبيرة منهم بأنحاء البحيرة منذ أواخر القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) (١٢) .

ب- **العقا قرة (الزيانبة)** : وينقسمون إلى قبيلتين رئيسيتين هما :

١- **أولاد على** : وانتشرت فروعهم المتعددة في صحراوات مصر الغربية والبلدان الواقعة على تخوم هذه الصحراوات (١٣) وذلك بعد أن خرجوا من برقة متجهين نحو صحراء مصر الغربية إثر حروبهم مع قبائل الحرابى فانتشروا ما بين الإسكندرية والبحيرة منذ القرن السابع عشر الميلادي وينتسب قبائل أولاد على من العقاقرة إلى جدهم (عقار) ، وينتمي أولاد على إلى قريش (١٤) ، ومن أفرع أولاد على مجموعات :

أ- **أولاد على الأبيض** : ومنهم أولاد الدجن ، والسناقرة ، والعزايم ، وأولاد خروف ، والمقرحى ، وأولاد منصور (١٥) .

ب- **أولاد على الأحمر** : ومنهم الكميلات ، والعشيبات ، والقنيشات ، والحرابى ، وأبو رقيق بالدلنجات (١٦) .

ج- **قبائل السنة** : ومنهم العجبة ، والمحافيظ،والعراوة(العروى)،والقطيفة (١٧) والعزايم، والزغيبات ، والسمالوسي ، والقطعانى ، والهوارة ، والجميعات ، والسنية ، والموالك (مالك) والربايع (الربيعي) ، واللزد ، والتمايم (التميمى) ، والقوابيص (١٨) . وكان أغلبهم من الرحالة المرشدين لمسالك الصحراء ، ولهم مواقف باسلة ، واستحوذوا على نفوذ قوى بالإقليم بما يمتلكون من قوة بشرية وحيوانية نازعتها فيها قبيلة الهنادى ؛ مما أدى إلى أن يتقاسما السيادة والسيطرة على أنحاء البحيرة (١٩) ؛ وخاصة في منطقة وادى مريوط وشمال غرب البحيرة فقد كانوا يمتلكون من ١٠٠٠-١٢٠٠ فارس (٢٠) .

٢- **الحرابى:** وهم الفرع الثاني من العقاقرة وتتكون الحرابى من خمسة بطون هي: العبيدات، والبراعصة ، والحاسة، والفوايد " أولاد فايد "، والدرسة (٢١) ، والبراغيث وهم ينقسمون إلى العرفاء (أولاد عريف)، والرماح ، والعبيد، والجبارنة (أولاد جبريل) (٢٢) ومن الجبارنة يتفرع الجوازى (أولاد عامر) وشيخهم أبو جازية (٢٣) .

قبيلة الجويلى : وهى من القبائل التي قدمت إلى إقليم البحيرة منذ فترة طويلة، وأقامت على حدودها الشرقية المتاخمة لفرع نهر النيل الغربي ، وقال الفرنسيون إنهم يمتلكون أكثر من أربعمائة فارس (٢٤) .

قبيلة الأزد: وقد وفدوا إلى البحيرة واستقروا بها منذ الفتح العربي (٢٥)، وعرفوا بعربان الأزد (الأنصارية) لانتسابهم لذرية أنصار رسول الله(صلى الله عليه وسلم)(٢٦).

قبيلة الجميعات: وهى إحدى فروع بنى سليم التي وفدت إلى البحيرة قادمة من شمال أفريقيا في القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشرالميلادى)،واستقر بعضهم في البحيرة(٢٧)،وقد بلغ عددهم في عهد الحملة الفرنسية نحو ألف رجل (٢٨) .

قبيلة الهوارة: وهى من القبائل العربية التي هاجرت من بلاد الحجاز إلى بلاد شمال أفريقيا مصاحبة للفتوحات الإسلامية لهذه البلاد، ثم وفد عدد كبير منهم إلى إقليم البحيرة واستقروا بها منذ العصرالمملوكي ، وهبطت جماعة أخرى بالصعيد ، أما فرع البحيرة فقد انتشر انتشارا واسعاً في أرجاء الإقليم (٢٩) .

قبيلة الجوابى : وأغلبهم من الرعاة الجوابين في أنحاء إقليم البحيرة بحثاً عن الكلأ والمراعى ولذلك عرفوا بالجوابى ، ويترددون على شواطىء بحيرات النطرون كل عام لنقل النطرون والبلح من سيوة ، وقد وصفهم الفرنسيون بأنهم أبناء قبيلة عربية رحالة مضيافة مسالمون يتمسكون بعاداتهم القديمة ، ولكن عواطفهم متأججة ، وتتكون من ألفى رجل ويمتلكون نحو ستين فرساً ، لا يشهرون السلاح إلا للدفاع عن النفس (٣٠) .

قبيلة الفرجان : وهذه القبيلة استقرت في إقليم الشرقية منذ القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) ، وانتقل بعضها إلى إقليم البحيرة وربما إنها وفدت من بلاد شبه الجزيرة العربية (٣١) .

وقد تفرقت في أنحاء إقليم البحيرة قبائل عربية عديدة ما بين تخوم الصحراء الغربية والمناطق الزراعية أو شبه الزراعية القريبة من مصادر المياه على مقربة من خليج الإسكندرية أو الخليج الناصرى (ترعة المحمودية) أو فرع نهر النيل الغربي ، ومن هذه القبائل : قبيلة السمالوسى التي بلغ تعدادها نحو ألف رجل ، وقبيلة الثمامة (٣٢) ، والباعجى (٣٣) ،والنجمة(٣٤) ،والطارة ،والحوايث ،ومسنيد،ومطيريد ،وغزالة(٣٥)، والبابيس(٣٦)،والبهجة(٣٧)، والعجبة (٣٨) ،والفراتيس ،والشهادى ،والهرادى (٣٩) ، والطرواتى ، والبالجوشى ، وندجيم ، وأبو رضوان(٤٠) ، والجربى "الجربة " المغربي(٤١)،وفى منطقة وادي النطرون عاشت عربان الحوايث ،وسما لو ،ومسنيد، ومطير يد (٤٢) .

وقد عاش بالرحمانية التي شهدت كثيراً من أحداث الحملة الفرنسية أعداداً كبيرة من فروع ستة قبائل عربية أهمها : الهنادى ، والجميعات ، والبهجة ، والفراتيس ، والسليوبيس ، وبنى سنين التي تعرف بقبائل السنة ، ومن بطونها : الكميلات ، والعشيبات ،والقنيشات ، (٤٣) ، والجوابيص (القوابيص) ، وهم طائفة مرابطون"(٤٤) .

وقد وفد من طرابلس الغرب وتونس في أزمنة متتابعة منذ أواخر العصر المملوكي قبائل عربية مغربية استقرت بالبحيرة منها: عرب ابن وافى، وأبو كريم ، ومحارب، وطرهونة، ومن فروع بنى سليم (سليم بن منصور) انتشر العربان من الإسكندرية إلى

برقة وأشهرهم " بنو هبيب " الذين نسب إليهم وادي هبيب المعروف بوادي النطرون وقد وفدوا إلى البحيرة مبكراً منذ بداية القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) (٤٥) .

وتبعاً للإشارات التي وردت بالوثائق بشأن القبائل العربية المتواجدة بولاية البحيرة يلاحظ انتشار عدد كبير من تلك القبائل بأنحاء الولاية وثغر الإسكندرية قبيل مجيء الحملة الفرنسية، ويبدو أن هذا الانتشار يرجع إلى الموقع الجغرافي للولاية باعتبارها مفتاح باب المغرب العربي الذي دلفت منه القبائل العربية المغربية إلى مصر، ولأهميتها الاقتصادية وتنوع مصادر إنتاجها وثرواتها(٤٦). **أما عن أنشطة العربان الاقتصادية وحرفهم** فقد كان لفتح العرب مصر في القرن السابع الميلادي أثره في هجرة القبائل العربية إلى مصر والاستقرار بها منذ هذا الوقت المبكر (٤٧) والاندماج مع السكان الأصليين وخاصة في منطقة الحوف الغربي (البحيرة)، واستمر بعضهم على بداوته مؤثرا التنقل والترحال في البوادي يرعى الإبل والأغنام والماعز ويربى الخيول في صحراوات البحيرة ومريوط وأهمها قبائل الجومات ، والطروات ، وبنى عون ، والجوابى ، والهنادى ، وأولاد على .

وكان علماء الحملة الفرنسية وخاصة المسيو شابرول chabrol قد جاب هذه الفيافي لدراسة أحوالها ، وقد أكدت الدراسات الفرنسية على أن بعض هذه القبائل عرفوا الاستقرار ومارسوا الزراعة في بعض أجزاء الإقليم (٤٨) بعد أن كانوا يترفعون في البداية عن ممارسة هذه الحرفة إلى جانب امتهانهم لبعض حرف الصناعة والتجارة(٤٩) وكانت السلطات العثمانية منذ بداية العصر العثماني تحاول استمالة العربان إلى جانبها لما عرف عنهم من التمرد وعدم الخنوع فقد نص قانون "نامه سليمان "على منح مشايخ العربان بعض السلطات في منازلهم تجنباً لتمردهم على السلطة ،ولذلك شارك العربان في أعمال "الخفارة "،وأطلقت عليهم وثائق محكمتي الإسكندرية والبحيرة الشرعية لقب "العرب المدركين " أي الواجب عليهم حماية الأدراك أو المناطق الخاضعة لنفوذهم (٥٠)،فتطالعنا إحدى الوثائق أن شيخ العرب"يوسف أبو عمار"من مشايخ عربان بنى عونة بولاية البحيرة ومعه شيخ العرب"إسماعيل أبو ناملة"

من مشايخ عربان بنى عونة كذلك،وبعض شيوخ عربان الأفرادوبنى عون الآخرين قد أشهدوا على أنفسهم أمام الأمير محمد أغا قايم مقام البحيرة "وهم بحال الصحة والسلامة والطواعية والاختيار من غير إكراه...أن عليهم القيام بخفر الدرب السكندري...وحفظه وحراسته ليلاً ونهاراً بأنفسهم وأن يستعينوا به من جماعتهم [قبائلهم] من عامود السواري " وحماية الدرب [الطريق] والمسافرين منه إلى البحيرة من قطاع الطرق ، وحماية أمتعتهم وبضائعهم"(٥١)وقد مارس عربان ومشايخ قبائل أولاد على هذا الدور من "غفارة "،" وربط السكك " من ثغر الإسكندرية وحتى دمنهور وذلك حتى مجيء الحملة الفرنسية (٥٢) .

وقد كان الفرنسيون يخشون قوة أولاد على المحاربة التي تصل إلى نحو ٣٠٠٠-٤٠٠٠ فارس أكثر من غيرهم لسيطرتهم على الصحراوات الغربية لمصر، ودوام تهديدهم للقبائل الأخرى بفرض الإتاوات ومهاجمتهم لممتلكات الآخرين والاستيلاء عليها مما جعلهم طبقاً للروايات الفرنسية يمثلون خطراً دائماً على السلطة الفرنسية ، التي لم تتمكن من كسر شوكتهم حتى الرحيل من البلاد (٥٣) . وقد وصفتهم وثائق محكمة البحيرة بأنهم "أهل بغى وعصيان ..."من قديم الزمان "وسالبين راحة الرعية لأخذ أموالها ومواشيها بالغارة والغصب ... " وكثيراً ما طالبت السلطة المركزية في القاهرة من نائب (قائمقام) البحيرة أو كاشفها أن ينذر مشايخ القبيلة ويحذرهم من "أذية الرعايا والفقرة [الفقراء] والعابرين السبيل [عابري السبيل] " لإقليم البحيرة (٥٤) .
وقد مارس بعض العربان أعمال السلب والنهب في أنحاء الاقليم (٥٥) مما أدى إلى هرب الفلاحين منها ، (٥٦) ، ولم يكن بإمكان أغوات تلك المناطق في عهد إدارة إبراهيم ومراد بك وقف تلك الهجمات (٥٧) لأنها كانت غارات سريعة وخاطفة ومؤثرة عجزت السلطات الحاكمة عن مجابهتها، وخاصة في أوقات الحصاد لنهب الغلال من أجران الفلاحين الذين وقعوا تحت ظلم الملتزمين من ناحية وأعمال السلب والنهب التي يمارسها العربان الرحل من ناحية أخرى مما أدى إلى هروب الكثيرين إلى المدن (٥٨) المجاورة وخاصة الإسكندرية.

ولم تسلم الطرق الرئيسية فيما بين إقليم البحيرة ورشيد والإسكندرية من هجمات بعض فرسان عربان بن عون،والأفراد،والبهجة على قوافل التجار السائرة عبر هذه الطرق وسلب ما تحمله بالقوة (٥٩) على أن هذا الجانب السلبي لعربان البحيرة غير المستقرين والذين لم يمارسوا الاستقرار وامتهان الزراعة والحرف الأخرى لا يقلل من شأنهم في أن غالبيتهم قد أدوا دوراً واضحاً في الحياة الاقتصادية لمصر فقد امتلكوا أعداداً كبيرة من الجمال التي تولوا تربيتها والتي ساهمت في أعمال التجارة ورحلات القوافل (٦٠) ما بين بلاد المغرب وغيرها من البلدان المصرية باعتبارها وسيلة هامة من وسائل النقل في ذلك الحين. وكان عرب الجوابى يقومون بنقل النطرون من بحيراته بغرب البحيرة حتى الإسكندرية ، ونقل البضائع بين مدن الوجه البحري ، وبين أنحاء الإقليم(٦١) . ومارس بعض أفراد قبائل بنى عونة تجارة العبيد والجواري والنوق(٦٢) ، وساهم عربان الفوايد،والبهجة،والهنادى،والأفراد والسمالوس في تجارة الجمال والخيول بأسواق البحيرة والإسكندرية (٦٣) . والأغنام والجاموس التي مارسها عربان السعادى ، والأزد ، وأولاد على ، وبنى عون مع تجار الإسكندرية (٦٤) ، ولم يقتصر نشاطهم على تجارة الجمال والخيول فقط بل مارسوا حرفة نقل الأرز من ثغر رشيد والمتاجرة فيه وساهم مشايخ العربان بنشاط ملحوظ في هذه الحرفة ، وتاجروا في الأصواف والأكسية ، واشتهر عرب "الأزد " بتجارة الأثواب الحماوى الواردة من حماة ببلاد الشام ، وتجارة الفواكه التي مارسها أولاد على (٦٥) ، وعربان الجويلى الذين مارسوا تجارة الرمان والعنب (النكلاوى) (٦٦) .

وقد امتد نشاط بعض القبائل العربية التي توطنت بالبحيرة إلى العديد من مجالات الحرف اليدوية والصناعية التي سادت قبل مجيء الحملة الفرنسية ، وقد مارسها عربان الأزد والسعادى (٦٧) .

وتطالعنا الوثائق باحتراف المستقرين منهم منذ زمن بعيد للزراعة (٦٨) ، فتمركزت أعداد كبيرة منهم داخل النطاق الزراعي للإقليم وعلى مقربة من خليج الإسكندرية وحواليه،وفى المناطق الواقعة إلى غرب فرع نهر النيل الغربي (فرع رشيد) بنواحي

رشيد ،والعطف ،والرحمانية ،وشبراخيت ،وإيتاى البارود ،واستطاعوا وضع أيديهم على مناطق شاسعة من الأراضي الزراعية والصالحة للزراعة التي لم تستغل بعد فنجحوا في زراعتها وصارت تحت أيديهم ،واستأجروا أراضى أخرى من بعض ملاكها القدامى (٦٩) .

وصار منهم الملتزمين في مجال الزراعة الذين بلغ عددهم عام ١٢١٢هـ / ١٧٩٧م وقبيل دخول الفرنسيين الإقليم بعدة شهور (١٢٧) ملتزماً (٧٠) منهم شيخ العرب مرعى ،وشيخ العرب يونس ، وأولاد المرحوم عيسى الأشقر شيخ مشايخ بنى عونة بقرية برقامة ، وشيخ العرب محجوب بقرية قابيل ، وشيخ العرب محمود بقرية قافلة (٧١) كما نجح بعضهم في الحصول على التزام نطرون الإقليم (٧٢) لما له من أهمية في صناعة تبييض الكتان . وتولى بعضهم منصب (الأغا) أي حاكم لإحدى النواحي بالإقليم (٧٣) وأصبح منهم الجوربجية وسردارات الأوجاقات العسكرية(٧٤) ونتيجة لهذا النشاط فقد بلغ كثير من مشايخ العربان درجة عظيمة من الثروة والغنى فاقتنوا العبيد (٧٥) والجواري ، وتزخر سجلات محكمة الإسكندرية الشرعية بقضايا إشهار عتق الكثيرين منهم (٧٦) ،وكونوا الشركات وعقدوا الصفقات مع تجار ثغر الإسكندرية ، واشتروا العديد من العقارات بأنحاء متفرقة من أخطاط الثغر(٧٧) وصاهروا السكندريين (٧٨) ،ومنهم من سلك طريق العلم وأشتغل به وأصبح من كبار مشايخ عصره بالمساجد الكبرى مثل الإمام الفاضل الصوفي الشيخ على بن عمر من عرب بنى عونة (٧٩) .

ثانياً : أولى أطوار مقاومة عربان البحيرة للحملة الفرنسية

مما لا ريب فيه أن الحملة الفرنسية بأحداثها الهامة كانت بمثابة هزة عنيفة للمصريين ، أزاحت عنهم غبار جمود الماضي الذي خيم عليهم بسبب الركود الذي عاشوا في ظله من جراء الحكم العثماني ، وأثارت فيهم كوامن الروح القومية التي بزغ فجرها منذ أواخر القرن الثامن عشر ، ومع مجيء أولى جحافل الغزو الفرنسي . وكان أول طور من أطوار هذه الروح الجديدة هو تلك المقاومة التي أبداها المصريون ممثلين في عربان إقليم البحيرة معترضين أولئك الغزاة الذين نزلوا على أرض العجمي غرب الإسكندرية مع فجر اليوم الأول من شهر يوليو ١٧٩٨م ، ولم يكن قادة الحملة بما قرأوه عن مصر والمصريين يتوقعون أن يلقى جنودهم مقاومة تذكر من أهل البلاد المعروف عنهم هدوء الطبع والصبر على حكامهم (٨٠) .

وقد سجل التاريخ لأهالي البحيرة وعربانها أشرف المواقف الوطنية منذ ذلك التاريخ حينما علم أهل ثغر الإسكندرية وحاكمها السيد / محمد عبد الكريم (محمد كريم) بقدوم الأسطول الفرنسي وشاهدوه أمام شواطىء غرب الثغر مساء يوم ٣٠ يونيو ١٧٩٨م ، ولم يكن ظهور الأسطول في حد ذاته مثيراً لذعر وخوف أهل الثغر وعربان البحيرة المتواجدين في ضواحيه الغربية ، وإن كانت ضخامة سفن الأسطول حين لاح في الأفق قد أثارت ذهولهم (٨١) وحفزتهم على المقاومة ، حينئذ بادر السيد محمد كريم بالاستنجاد بالأمير المملوكي صاحب السلطة على الثغر مراد بك ، طالباً منه المسارعة بالدفاع عن البلاد ، وفى نفس الوقت الذي أرسل فيه مشايخ الإسكندرية وعلمائها وأعيانها إلى كاشف البحيرة المملوكي الأمير "حسن أغا مراد" ليتولى جمع عربان الإقليم للدفاع عن الثغر السكندري ومساندة أهله (٨٢) .

ولم يتوان كاشف البحيرة عن تلبية نداء الواجب فتولى مخاطبة العربان وجمعهم مع المجاهدين من أبناء الإقليم ، وقد بلغ عدد هؤلاء العربان من قبائل أولاد على (٨٣) ، والهنادى (٨٤)مابين مائتين وأربعمائة من الفرسان حسب تقديرات المصادر الفرنسية(٨٥)، اتجه بهم حسن أغا يمتطون ظهور خيولهم نحو غرب الإسكندرية للدفاع

عنها أمام جحافل الغزاة المدججين بالسلاح والمدعمين بالعتاد الحربي والخطط العسكرية الحديثة التي يصعب الصمود أمامها طويلاً من جانب أولئك الذين يعتمدون على خطط الكر والفر، وشجاعتهم المستمدة من ذواتهم ومهاراتهم في استخدام السيوف والرماح (٨٦) .

وبدت أولى أساليب مقاومة عربان البحيرة للطوابير الفرنسية التي تعجل نابليون بإنزالها على شاطىء العجمي فجر اليوم الأول من يوليو وأمرها بالسير نحو الشرق بحذاء الساحل نحو الإسكندرية ، حينما قام العربان بردم الآبار وصهاريج المياه بالأتربة والصخور كي لا يستفيد منها الفرنسيون عند مرورهم مما أدى إلى سقوط بعضهم صرعى العطش (٨٧) .

ولم يكن طريق الجنود الفرنسيين معبداً من العجمي (مرابط) حتى عامود بومبى (السواري) على مشارف الإسكندرية ، فقد قام العربان الذين بلغ عددهم نحو أربعمائة فارس يمتطون جيادهم ، بمهاجمة الطوابير الفرنسية مستخدمين المزار يق ، وتمكنوا من اختراق صفوف الجنود وهم يصيحون بأصوات عالية صيحات مخيفة للفرنسيين ، وصفها أحد المؤرخين بأنها "صرخات يجمد لها الدم في العروق " (٨٨) . وقد حاول الفرنسيون مقاومتهم بأسلحتهم ، ولكن فرسان العربان نجحوا في استخدام أسلوب الهجوم الخاطف الذي يعتمد على الكر والفر معتمدين على مقدرتهم الحربية بواسطة الخيول من اختطاف عدد كبير من الجنود الفرنسيين الذين تخلفوا عن طوابيرهم لإعيائهم الشديد ومعهم بعض النساء المرافقات للحملة (٨٩) ، كما تمكنوا من قتل وجرح الكثيرين من الجنود والضباط الفرنسيين ومنهم ضابط برتبة كابتن captaine ويدعى مورو Moreau ، وقد مات بعض الجرحى منهم نتيجة العطش الذي نالهم من جراء الهجمات المتكررة عليهم وفشلهم في أن يرووا ظمأهم (٩٠) بعد ما ضاقت بهم السبل في الحصول على قطرة ماء عذب طوال رحلتهم الشاقة قبل الوصول إلي الإسكندرية .

وظل العربان يناوشون الطوابير الفرنسية التي أعيا جندها التعب خلال سيرهم على الرمال ، وحتى مطلع نهار اليوم الأول من شهر يوليو حينما هاجمت فرسان قبائل أولاد على تلك الطوابير وتبادلت معها إطلاق النار ، ولكن عددهم كان قليلاً بالمقارنة لأعداد القوات الفرنسية فلم يتمكنوا من إعاقة سيرهم الحثيث نحو الإسكندرية (٩١) ، وقد حاول بعض الفرسان الهجوم أكثر من مرة على جناح الطوابير الفرنسية الأيمن الذي يقع تجاه بحيرة مريوط ،كما تمركزت مجموعة تتألف من مائة وخمسين أعرابيا حول القنطرة المقامة فوق مجري قناة الإسكندرية (المحمودية حاليا) في أقصى جنوب غرب المدينة بهدف اعتراض الفرنسيين ومنعهم من الإقتراب من الأسوار الجنوبية للثغر ، ولكن المصادر الفرنسية تروى أن هؤلاء العربان تراجعوا بخيولهم نحو أشجار النخيل الكثيفة والقريبة منهم عندما رأوا ضخامة القوات الفرنسية (٩٢) .

ويعبر الجبرتي عن هذا الموقف الذي انسحب فيه العربان بخيولهم بانهزامهم أمام الفرنسيين (٩٣) ، ومحاولاتهم الاتجاه نحو رشيد في الشرق لإعادة تجميع صفوفهم مرة أخرى ومهاجمة الفرنسيين ، ولكن الجولة لم تنته بعد إذ أن عدة مئات منهم اتجهوا نحو مدينة الإسكندرية وقبل أن يتمكن الفرنسيون من التمركز حول عامود السواري ، وذلك للمشاركة مع السيد محمد كريم في الدفاع عن أسوار المدينة (٩٤) ، بعد ما خف الجميع إلى حمل السلاح وتم ترميم الحصون الضعيفة والأسوار المتهدمة على عجل ، ويرى كريستوفر هيرولد Cristopher Herold أن " هذه التدابير كلها كان فيها من الحماسة المحمومة أكثر مما فيها من الفائدة الحقيقية " (٩٥) .

وكان محمد كريم يتولى بنفسه الإشراف على أعمال الترميم وقيادة المدافعين من أهل المدينة وجنود الإنكشارية والعربان المشاركين معهم للدفاع عن أسوار المدينة عندما أصدر بونابرت أوامره بمهاجمة الجزء الجنوبي من هذه الأسوار وهو أضعفها(٩٦) ، واستمر محمد كريم يتولى الإشراف على المقاومة والدفاع عن الأسوار ومعه حوالي الألف من قوات الإنكشارية وبضع مئات من عربان البحيرة الذين أرسلهم الكاشف لتعضيد وتأييد مدافعي الثغر . على أن الأسوار الضعيفة لم تصمد أمام

ضربات المدافع الفرنسية المتوالية على أحد أجزاء الأسوار الجنوبية الواهنة فتمكنت من فتح ثغرة إنساب منها الفرنسيون نحو داخل المدينة، فاعتصم السيد محمد كريم وقواته بما في ذلك عربان البحيرة بقلعة الركن الأشرفى الكبير (قايتباى) مدافعاً عنها محاولاً الإستمرارفى المقاومة (٩٧)،التي استمرت صامدة طوال نهار يوم ٢ يوليو حتى نفذت الذخيرة من المقاومين ولم يجد محمد كريم من سبيل سوى رفع الراية البيضاء(٩٨) .ولم تكن تلك النهاية سوى هدنة توقف فيها شريف الإسكندرية عن المقاومة إلى حين مستخدماً الحيلة والدهاء للدفاع عن بلاده وهو ما سوف يظهر فيما بعد من خلال تعاونه المتواصل مع عربان البحيرة لاصطياد جنود الحملة عبر أراضيها.

ثالثاً :المقاومة من الإسكندرية حتى الرحمانية

محاولات نابليون استمالة المصريين :

وجه القائد العام بونابرت G. Bonaparte أول منشور له للمصريين في اليوم الثاني من يوليو ١٧٩٨ (١٨ محرم ١٢١٣هـ) ، وهو منشوره الأول الذي طبعه في عرض البحر على ظهر سفينة القيادة لوريان (الشرق) L'orient باللغات العربية ، والفرنسية، والتركية بهدف استمالة قلوب المصريين ومشاعرهم الدينية مستخدماً لتحقيق هذا الهدف الشعارات التحررية للثورة الفرنسية (٩٩) ، حتى يتمكن من السيطرة على البلاد بسهولة لتوطيد سلطة فرنسا في مصر ، وقد أوضح في النص الفرنسي أنه ما جاء لمصر إلا لمعاقبة المماليك الذين أساءوا للتجار الفرنسيين وذكر في منشوره أن الفرنسيين " مسلمون مخلصون " (١٠٠) .

وقد احتوى المنشور على عبارات التهديد والوعيد للمصريين إذا لم يذعنوا للقوة الفرنسية ، وأنذر القرى التي تخرج عليهم في طريقه نحو القاهرة ، وكأنه يقرأ بظهر الغيب ما سيلاقيه جنوده من مقاومة عبر إقليم البحيرة وحتى الجيزة . وقد وصل المنشور المطبوع باللغة العربية إلى أهالي البحيرة بعد أن قام بتوزيعه بعض المستشرقين ، ونشر بالإسكندرية فقرأه العلماء والمشايخ وغيرهم من أهل الثغر السكندري . ولم يضع بونابرت وقته سدى بعد أن أحكم سيطرته على الثغر وأثنى على وطنية محمد كريم مداهناً إياه وتركه حاكماً مدنياً للمدينة تحت قيادة الحاكم العسكري الجنرال كليبر G.Kléber ، بعد أن قرر التوجه بقواته نحو البحيرة في الساعة الخامسة مساءً يوم ٧ يوليو (١٠١) .

ولهذا فقد عقد القائد العام العزم على القيام بأمرين قبل مغادرة الإسكندرية

الأمر الأول : وهو إذاعة منشوره الصارم لجنوده وهو المنشور الثاني المطبوع في عرض البحر ، آمراً إياهم باحترام عادات ومقدسات المسلمين ... مع عدم التعرض لنسائهم وممتلكاتهم (١٠٢) ، مهدداً أي جندي يدخل المنازل بقصد السرقة أو السلب بالإعدام رمياً بالرصاص(١٠٣) ، كما أعقب هذا المنشور بالأمر اليومي الذي أصدره

الجنرال برتييه G.Berthier رئيس أركان الحرب في يوم ٣ يوليو متضمناً تعليمات القائد العام مشدداً على "حظر دخول الفرنسيين من عسكريين ومدنيين المساجد ... أو التعدي على النساء ، وأن يدفع كل جندي ثمن ما يبتاعه ... ، والمحافظة على أموال الأهالي وكرامتهم ... " (١٠٤) .

على أن العسكريين الفرنسيين كانوا في غالب الأحيان في حل من تنفيذ هذه الأوامر من سلب ونهب واغتصاب مما أثار حفيظة الأهالي وأجج نار الثورة ودوافع المقاومة منذ اليوم الأول لاحتلال الإسكندرية ، وبلغت مسامعه لأهالي البحيرة وعربانها ، وهو ما أدى إلى التحفز للمقاومة عند قدوم الفرنسيين مخترقين أرض الإقليم نحو القاهرة .

الأمر الثاني : وهو أن الجنرال بونابرت قد أيقن بما لا يدع مجالاً للشك مدى قوة وجسارة عربان البحيرة وضواحي الإسكندرية ، ونظراً لأنه كان في حاجة ماسة إلى الجياد والجمال اللازمة لنقل معداته وهو لا يملك عملة محلية ولأنه يود مهادنة تلك القبائل فلقد اعتمد على عقد معاهدة مع شيوخ البعض منها في يوم ٥ يوليو ١٧٩٨بمعاونة السيد محمد كريم الذي خاطب ثلاثة عشر شيخاً من كبار هؤلاء البدو لكي يتوجهوا لمقر القيادة الفرنسية لمقابلة الجنرال بونابرت الذي حاول مساومتهم على تزويد الفرنسيين بثلاثمائة جواد وخمسمائة جمل يدفع القائد العام ثمنها نقداً ، وعلى أن يؤجروا له ألف جمل وجمّال ، واتفق معهم على أن يتعهدوا برد الأسرى الفرنسيين الذين تمكن فرسان الأعراب من أسرهم أثناء الزحف على الإسكندرية . ولم يتم تنفيذ شيء من هذا الإتفاق كله سوى رد الأسرى ، فقبل أن يتم تسليم الخيول والجمال للفرنسيين وصلت إلى هؤلاء الشيوخ مكاتيب من علماء القاهرة ومشايخها تدعوهم إلى الجهاد ضد الغزاة ، وهكذا لم يبطل الإتفاق التجاري فحسب ، بل إن عربان البحيرة بدأوا من فورهم يلاحقون الجنود الفرنسيين ومهاجمتهم أثناء زحفهم نحو دمنهور(١٠٥) .

وكان الجنرال بونابرت قد أصدر أمره في اليوم الثالث من يوليو إلى فرقة الجنرال ديزيه Désaix ببدء الزحف على دمنهور عند بدء الظلام حيث كان جنودها يعسكرون في الخلاء خارج أسوار المدينة ، ثم تبعتها فرقة الجنرال رينيه Reynier في اليوم

الخامس في نفس الطريق المتجه من جنوب الإسكندرية عند عامود السواري عبر سهول البحيرة التي وصفها الفرنسيون بأنها صحراء جرداء حتى دمنهور يعيش على أرضها عربان القبائل في خيامهم المتنقلة من موضع لآخر تبعها للأعشاب الجافة التي تقتات عليها إبلهم وخرافهم .

وقد تضمن أمر القائد العام أن تتلو فرقتي المقدمة الفرق الثلاث الباقية للجيش البرى في اليومين التاليين ٦، ٧ يوليو؛ اثنان بطريق دمنهور وهما فرقتي الجنرال بون G.Bon ، والجنرال فيال G.Vial والثالثة وهى فرقة الجنرال دوجا G.Dugua بطريق رشيد الساحلي شرقاً ثم الاتجاه جنوباً بحذاء فرع نهر النيل الغربي نحو الرحمانية التي تقع جنوبي رشيد بنحو أربعين كيلو متر على هذ ا الفرع ، وعلى أن تلتقى فرق الجيش الخمس بالرحمانية. والمسافة بين الإسكندرية ودمنهور خمسة وستون كيلو متراً ، ومن دمنهور حتى الرحمانية عشرون كيلو متراً ،وتستغرق تلك الرحلة جميعها ثلاثة أيام سيراً على الأقدام طبقاً لتقديرات القائد العام الفرنسي حيث كانت وسائل النقل غير ميسرة لجنوده بعدما تخلى عربان البحيرة عن مساعدته وإمداده بالخيول والجمال (١٠٦) مؤثرين مقاومته وجنوده فقد قدر لهم أن يواجهوا أولى جحافل الغزو ، وكانت أولى ملامح هذه المقاومة هو إتلاف العربان لآبار المياه العذبة المنتشرة مع طول مجرى خليج الإسكندرية حتى دمنهور سواء بردمها بالأتربة والصخور أو بإلقاء ملح النطرون في مياهها حتى لا يتمكن الفرنسيون من استخدامها(١٠٧) ، خاصة وأن الماء كان قليلا في هذا الطريق بعدما جفت مياه الخليج تقريباً نتيجة لانخفاض مياه نهر النيل في ذلك العام .

وقد عانت فرقة ديزيه ومن بعدها فرقة رينيه أشد المعاناة في هذا الطريق الشاق فمات منهم الكثيرون من جراء العطش وقتل بعضهم نفسه رميا بالرصاص وأجمعت الروايات على أن عددهم بلغ المئات . وما فتأ العربان يلاحقون الجنود بهجماتهم المباغتة والمتفرقة من الخلف والجنب بفرسانهم ، فتمكنوا من اختطاف عدد كبير من المتخلفين منهم الذين أعياهم العطش والإرهاق بعد أن إستلقوا على ظهورهم يبغون

الراحة لفترات قليلة فأوقعهم حظهم العاثر في أيدي العربان وقتل الآخرون الذين حاولوا المقاومة أو الهرب للحاق بطوابيرهم (١٠٨) .

ولاقى الجند الفرنسيون الذين حاولوا بلوغ مأربهم من الماء اعتراض الأعراب في البيضا (١٠٩) ، وبركة غطاس (١١٠) ، مما كان له أسوأ الأثر في نفوسهم فظهرت حالات الهياج والإنفعال والرعب بين صفوفهم (١١١) ، واضطر الفرنسيون بأوامر من القائد العام أن تسير وحداتهم في جماعات على هيئة مربعات بدلاً من الطوابير لحماية أنفسهم من هجمات العربان المباغتة عليهم ومنعاً من تخلف المرهقين منهم في الخلف(١١٢) .

وبلغ بونابرت دمنهور بجيوشه في اليوم التاسع من يوليو بعد معاناة شديدة ورحلة لم تكن ميسرة عبر أراضى البحيرة كان العربان أحد أسبابها الرئيسية، فآثر الراحة بهذه المدينة متوسطة المساحة والتي كانت مقراً لأحد أمراء المماليك من الكشاف ومركزاً من مراكز تجارة القطن تحيط بها الخضرة وتعلوها القباب والمآذن وكما وصفها الجنود الفرنسيين لم تكن إلا مجموعة من المنازل المتواضعة المبنية بالطين والتبن . وعقد القائد العام مجلس حربي لقواده الذين نفثوا عن مشاعرهم المكظومة وانهالوا باللوم على قائدهم لما أصابهم من جراء هذه الرحلة التي كانت مؤلمة منذ بدايتها عبر أراضى البحيرة (١١٣) .

وخلال الليليتن اللتين قضاهما بونابرت في دمنهور على رأس قواته ليرتب أمور جيوشه ويريح أفراده (١١٤) ، لم تسلم جنوده من هجمات العربان ومناوشاتهم على أطراف معسكراته فاستطاع فرسانهم اختطاف البعض منهم وبخاصة أولئك الذين حاولوا مدفوعين بحب الإستطلاع السير بعيداًعن التجمعات الفرنسية ، ومن هؤلاء الجنرال ميرور G.Muireur وهو من قادة الجيش الذي حاول الخروج بعيداً عن معسكره متجاهلاً أوامر القائد العام فتمكن فرسان العربان منه وقاموا بذبحه على مشارف المعسكر الفرنسي . وطبقاً للروايات الفرنسية تمكن العربان من أسر نحو مائة جندي فرنسي من مختلف الرتب العسكرية من معسكر دمنهور(١١٥) . ومن بينهم

الضابط دينون Denon مساعد أركان حرب الحملة الذي وقع أسيراً في قبضة العربان وفشلت مساعي القائد العام في أن يفتديه بالمال الذي لم يكن ذا جدوى لدى شيخ القبيلة التي تمكنت من أسره وقتله (١١٦) .

ولم يفت في عضد هذه المقاومة الوطنية تخاذل القوات المملوكية بعد قتال غير مجد منها مع القوات الفرنسية وانسحابها من دمنهور متقهقرة نحو قرية قراقص(١١٧) .

ويروى بوريين Bourienne – سكرتير بونابرت حادثاً وقع أمام مقر القيادة الفرنسية بدمنهور عندما أقبلت جماعة من فرسان الأعراب على ظهور خيولهم يطوفون حول مقر القيادة متحدين الفرنسيين فاغتاظ القائد العام الذي كان ينظر من نافذة المقر ، ونادى على شاب من حرسه الخاص يدعى كروازييه Croisier وهو في نوبة حراسته، لكي تولى مع بعض الحرس مطاردتهم ، فامتطى الحارس جواده برفقة خمسة عشر جندياً وقام بمناوشتهم، وكلن الفرسان الأعراب يهاجمون تارة ويتقهقرون تارة أخرى حتى انسحبوا في النهاية دون أن يصيبهم أذى أو يخسروا رجلاً واحداً مما أدى إلى غضب بونابرت غضباً شديداً فصبه في وحشية على رأس كروازييه واصفاً إياه بالجبن والتخاذل (١١٨) .

ولم يتمكن الجنرال بونابرت من الإستقرار بدمنهور نتيجة شدة مقاومة عربان البحيرة واختطاف عدد كبير من قواته دون قتال مباشر وجهاً لوجه سواء بالمدينة أو أثناء رحلته الشاقة من الإسكندرية عبر إقليم البحيرة ، ولهذا آثر التوجه صوب الرحمانية فأصدر أمره اليومي في اليوم التاسع من يوليو بمواصلة الزحف تجاه هذه المدينة الرابضة على مرتفع يقع على الضفة الغربية لفرع رشيد ، فوصلها في اليوم العاشر خلال مسيرة يوم واحد ، وبعد مناوشات من المماليك والعربان أمام قرية شبراريس (شبريس) ، لم تصمد أمام مدافع الفرنسيين الثقيلة التي كانت تحصدهم حصداً (١١٩) وبعد مسيرة يوم واحد شهد الجنود مرأى نهر النيل لأول مرة وكان منسوبه منخفضاً ، فأخذوا يرمون بأنفسهم في مياهه بملابسهم ليشربوا منه بعد أن أنهوا على حقول الشمام الواسعة (١٢٠) وكأنهم جراد منتشر ، ولم ينتظر بونابرت بالرحمانية

سوى ليلة واحدة حينما وصلت فرقة الجنرال دوجا التي سلكت بمفردها طريق رشيد البرى وتمكنت من احتلال المدينة في اليوم السادس من نفس الشهر (١٢١) بعد مقاومة عنيفة من أهلها يعضدهم عربان البحيرة دون مساندة من القوات المملوكية التي لم تتمكن من الدفاع عنها فتركتها وشأنها في مواجهة الفرنسيين(١٢٢) .

وفى الرحمانية التي كان يقطنها عربان الهنادى ، والجميعات ، والبهجة ، والفراتيس ، والجوابيص ، والجربى ، والسوالم وغيرهم حدثت بعض المناوشات غير المتكافئة بين طليعة الجيش الفرنسي وبعض القوات المملوكية التي سبقت طلائع قوات مراد بك المتمركزة في شبراخيت ، تساندها عربان الرحمانية ولكن دون جدوى نظراً لضخامة القوات الفرنسية وحسن استعداداتها الحربية وقوة وضخامة مدفعيتها الميدانية (١٢٣) .

وإثر تجمع فرق الجيش الفرنسي الخمس كلها بالرحمانية يوم ١١ يوليو بدأت في الإستعداد لمواجهة القوات المملوكية عند شبراخيت بعد وقفة صغيرة عند قرية منية سلامة ما بين الرحمانية وشبراخيت ، وبات الجيش الفرنسي ليلة ١٢-١٣ يوليو في شبراخيت ، ومع صوت النشيد القومي الفرنسي (المارسليز) استعد الفرنسيون لمواجهة القوات المملوكية التي اصطفت للمعركة بفرسانها تمتطى الخيول العربية المطهمة وقد بلغت نحو ألف فارس (١٢٤) يساندهم المشاة من المماليك والفلاحين المصريين الذين لم يزد تسليحهم على العصي (النبابيت) ، والعربان بفرسانهم ، ويساندهم بعض السفن المسلحة بالمدافع الرابضة على مجرى نهر النيل أمام شبراخيت ، ورغم أن القوات المملوكية المعززة بالعربان والفلاحين كانت أقل بكثير من القوات الفرنسية عدداً وعدة إلا أن المماليك بخيالاتهم حاولوا اختراق المربعات الفرنسية ، لكنهم فشلوا في حين قابلهم الفرنسيون بوابل من النيران الكثيفة والقنابل ، وكادت الدائرة تدور على الفرنسيين في البداية إلا أن السفينة الرئيسية للمماليك الحاملة للبارود إنفجرت في مجرى النهر نتيجة قذيفة فرنسية أصابتها إصابة دمرتها عن آخرها وأغرقتها في

النيل(١٢٥) ، وتحول الموقف لصالح الفرنسيين نتيجة لتخطيط بونابرت الحربي ، وكما يقول الجبرتي " فلم تكن إلا ساعة ، وانهزم مراد بك ومن معه " (١٢٦) ، وكانت هذه الهزيمة المملوكية أول مواجهة حقيقية بين قوة عالم العصور الوسطي في الشرق ، وقوة العصور الحديثة القادمة من الغرب الذي دلف مبكراً إلى عالم النهضة الحديثة .

وقد كانت هناك أخلاط من المماليك والفلاحين والعربان راحوا يطلقون النار من على ضفتي النيل ، ولكن هذه المقاومة لم توقف تقدم الجيش الفرنسي نحو القاهرة بعد انهزام المماليك وانسحابهم نحو الجنوب للتمركز في جيزة القاهرة، إذ سارع بونابرت بإصدار أوامره بالسير في أثر المماليك ، رغم انخفاض الروح المعنوية لجنوده لما كابدوه خلال رحلتهم عبر إقليم البحيرة من مشقة وهجمات العربان المتكررة عليهم (١٢٧) .

وأعرب الجنود عن تذمرهم الواضح لما يتعرضون له ومدى الإرهاق الذي يعانونه فسمح الضباط لهم في غير اكتراث بعدم الإلتزام بطوابيرهم والاستيلاء على ما يقع تحت أيديهم عنوة من مختلف القرى الواقعة في طريقهم بحذاء نهر النيل ، وتعرضت قرى عديدة للسلب والنهب ، فإذا رفضت إحداها إمدادهم بالمؤن قاموا بحرقها وقتل أهلها كما حدث في قرية نكلا (العنب) جنوبي شبراخيت (١٢٨) مما أدى إلى أن يهجر كثير من سكان القرى دورهم ومعهم أولادهم ومواشيهم وهى ثروتهم الوحيدة التي يخشون عليها من الغزاة ، ولم يتركوا لهم شيئاً يقتاتون به من الزاد والحيوانات وكان العربان والفلاحين ينتهزون فرصة سير جماعات الجنود الفرنسيين بعيداً عن شاطىء النيل ، ويخطفون كل من يتخلف منهم عن السير إعياء وإرهاقاً ، كما أسروا بعض الجند الذين كانت مهمتهم التنقل بين مختلف الفرق العسكرية لتبليغ أوامر القائد العام إلى قواده (١٢٩) .

ولم يتورع الفرنسيون الغزاة من استخدام كافة سبل السلب والنهب وقطع المزروعات والاعتداء على القرى الآمنة وسكانها ، واتباع سياسة " الأرض المحروقة" لترويع الأهالي (١٣٠) كما حدث في قرى نكلا العنب (١٣١)والنجيلة(١٣٢)،والطرانة(١٣٣) .

ولم يتمكن الفرنسيون من إشباع نهم قواتهم وإمدادها بالمؤن والأقوات من خلال فلاحى وعربان قرى البحيرة الواقعة على الشاطىء الغربي لنهر النيل لأنها أصبحت شبه خالية من الأقوات وما يلزم الفرنسيين منها بعد فرار كثير من الأهالي من قراهم وتركها خاوية ، مع المناوشات المستمرة والتي لم تنقطع من جانب العربان وتعقب فلول الفرنسيين المهرولين تجاه القاهرة ، فاستطاع فرسان العربان القبض على بعض حاملي البريد Le Courrier من الجنود وأسرهم وخاصة قرب قرية وردان في طريق إمبابة (١٣٤) .

ولم تتوقف معاناة الفرنسيين خلال تلك الرحلة الشاقة عبر إقليم البحيرة حتى بلغوا مشارف الأهرامات يوم ٢١ يوليو، فقد تمكن كثير من أهالي القرى الواقعة على طول خط سير الحملة بالتعاون مع العربان من تعقب الجند المتخلفين عن فرقهم سواء بسبب الإرهاق والتعب أو المرض أو أولئك المكلفون بإبلاغ الرسائل والبلاغات الحربية إلى قادة الفرق المختلفة، والإمساك بهم (١٣٥) خاصة وأن جيش بونابرت ضم في غالبيته شباب صغار السن هم في عمر الصبا تنقصهم الخبرة العسكرية الكافية وعدم الدراية الحربية التي يجب توافرها في مثل هؤلاء.

ومضى الفرنسيون في زحفهم تجاه القاهرة فكان اللقاء التالي مع قوات مراد بك في إمبابة حيث دارت معركة الأهرام التي شارك فيها عربان البحيرة من أولاد على والهنادى وغيرهم من عربان الإقليم مشاركين إخوانهم عربان الجيزة (١٣٦) في مقاومة المحتل الغاصب. وكان مراد وإبراهيم بك بعد هزيمتهما في شبراخيت قد طلبوا مساندة العربان وغيرهم وحشد قواهم للدفاع عن عاصمة البلاد، وجعلهم مراد في مقدمة قواته بنواحي شبرا وما والاها فاجتمع لديه الكثير من عربان البحيرة، والجيزة، والصعيد والخبيرية، والقيعان، وأولاد على، والهنادى (١٣٧) .

وعلى الرغم من انتصار بونابرت على المماليك في هذه المعركة انتصارا يسر له الاستيلاء على القاهرة بسهولة إلا أنه خول للقنصل النمساوي بالقاهرة كارلو روزيتى Carlo Rosetti سلطة مفاوضة مراد بك والعرض عليه حكم إقليم جرجا، ولكن مراد

رفض التفاوض، وشجعه على ذلك التعاون الواضح الذي لقيه من العربان الذين كانوا يمدونه بالمعلومات والأنباء السريعة عن تحركات الفرنسيين (١٣٨) هنا وهناك، ولم يكن تعاون العربان مع المماليك حباً فيهم، ولكنهم كانوا مدفوعين بالغيرة على بلادهم ووطنهم والحمية بالدفاع عن عرينهم فتشكلت على الفور وبعد فرار إبراهيم تجاه بلاد الشام، ومراد بك نحو الصعيد يرافقه كثير من العربان بعض الجماعات (الخلايا) السرية داخل مدينة الإسكندرية وخارجها في المناطق المتاخمة لها داخل إقليم البحيرة للمقاومة استجابة لمكاتبات مشايخ وعلماء القاهرة التي أوجبت الجهاد كفريضة ضد الفرنجة الغزاة، وبذلك أصبحت ضواحي الإسكندرية وشمال غرب البحيرة غير مأمونة لتحركات الفرنسيين بسهولة الذين ما إن يخرجوا من الثغر عابرين الإقليم تجاه القاهرة حتى يصبحوا صيداً سهلاً للعربان، وقد فطن القائد العام لهذا الخطر فأمر بتشكيل طوابير متحركة لتأمين خطوط المواصلات عبر البحيرة عن طريق خليج أو ترعة الإسكندرية حتى الرحمانية تحت قيادة الجنرال ديموى G.Dumuy (١٣٩).

واتسمت هذه المقاومة بالغارات الخاطفة السريعة التي يشنها العربان على مواقع الفرنسيين وتحركاتهم والتي كانت أشبه بحرب (العصابات)، وهي أنسب وسيلة للمقاومة المستترة التي يجيدها العربان مستخدمين الحيلة والدهاء تجاه قوة الفرنسيين الغاشمة، وقد تمثل هذا الأسلوب في الكفاح واضحاً في مهادنة السيد محمد كريم للفرنسيين، ثم اتصاله بالخلايا المجاهدة المنتشرة بالبحيرة وضواحي الثغر السكندري للتصدي للكتائب الفرنسية الخارجة من الثغر والقادمة إليه عبر البحيرة.

وكان بونابرت قد فطن منذ اللحظات الأولى لاحتلاله الإسكندرية لأهمية إقليم البحيرة باعتباره همزة الوصل في اتصاله بين عاصمة البلاد وثغرها الأول فأصدر أمره اليومي في ٤ يوليو ١٧٩٨ الذي أوجب على مدير إدارة المهندسين العسكرية بالتعاون مع ضباط الطرق والكباري استمرار الإشراف على دوام استمرار ورود المياه إلى الإسكندرية من خلال مجرى ترعة (خليج) الإسكندرية مع ضمان استمرار الاتصالات فيما بين المدينة وفرع نهر النيل عند الرحمانية (١٤٠) بعد التهديدات التي قام

بها العربان وسكان القرى على مجرى الخليج من محاولات قطع ورود المياه العذبة للإسكندرية وحاميتها الفرنسية.

وطبقاً لأمر القائد العام فقد أصدر الجنرال كليبر قائد منطقة الإسكندرية العسكرية أوامره بتأمين الاتصالات فيما بين فرع نهر النيل الغربي من الجيزة جنوباً وحتى رشيد شمالاً وبين الإسكندرية حيث توجد ثاني أكبر حامية عسكرية في البلاد ، ولتحقيق هذا الغرض أوجب تجهيز عدة قناطر وكباري خشبية فوق مجرى الخليج في مناطق متفرقة داخل إقليم البحيرة وعلى طريق الإسكندرية – رشيد ، ضماناً لاستمرار الاتصالات بين الإسكندرية ورشيد والرحمانية وبين القاهرة (١٤١).

وكان قرار القائد العام الصادر يوم ٦ يوليو / ١٨ مسيدور الصادر إلى الجنرال برتييه قائد أركان حرب الجيش الفرنسي يتضمن تكليف الجنرال كليبر بقيادة منطقة الإسكندرية وضواحيها حتى أبى قير في الشرق مع إشرافه على الكتيبة المتحركة ومهمتها الأساسية تأمين المواصلات بين الإسكندرية وباقي أنحاء البلاد عبر إقليم البحيرة الذي أصبح خاضعاً لقيادة الجنرال ديموى وكان من بين التكليفات التي وضعت على كاهل الجنرال كليبر حراسة وحماية الإقليم الواقع تحت إدارته من هجمات عربان البحيرة.

كما صدر في نفس اليوم (٦يوليو) الأمر العسكري بتولي الجنرال منو G.Ménou قيادة منطقة رشيد (١٤٢) مما يدل على أهمية إقليم البحيرة والإسكندرية في إستراتيجية بونابرت للسيطرة على البلاد المصرية حينما ثبت على قيادتهما أثنين من أهم قادته العسكريين وهما كليبر ومنو اللذين خلفاه في قيادة الحملة بعد رحيله لفرنسا.

وقد حاول الجنرال كليبر مع بداية حكمه للإقليم امتصاص غضب الأهالي وحنقهم من تصرفات الفرنسيين وتجاوزاتهم، لذا أصدر منشوره العسكري يوم ١٤ يوليو ١٧٩٨م/ ٢٦ مسيدور من السنة السادسة للجمهورية مؤكداً لقواته على ضرورة الانصياع لأوامر القائد العام التي تنص على ضرورة احترام أملاك الأهالي وعاداتهم وعقائدهم، وأكد كليبر على عدم اعتداء أي فرنسي على نساء المسلمين؛ وكذلك من

يحاول اقتحام أي منزل تحت أي عذر، وأكد كذلك على عدم الاعتداء على المسلمين أثناء ممارسة شعائرهم الدينية في المساجد (١٤٣).

ولم يكن الجنود الفرنسيين على مستوى المسئولية لأنهم لم يكبحوا جماح أنفسهم واقترفوا المنكرات وهتكوا الأعراض، واعتدوا على الحرمات مما أجج نار الكراهية في قلوب الأهالي وأثار حفيظتهم تجاه الغزاة الفرنسيين على الدوام .

وعلى الرغم مما جاء في إعلان الجنرال بونابرت في منشوره الأول لأهالي مصر وكان أبناء الإسكندرية والبحيرة أول من تلقوه ؛احترامه للإسلام وتعاليمه، واتباعه سياسة إسلامية مؤكداً احترامه للمسلمين وتقاليد المجتمع المصري الشرقي، والحفاظ على كرامة المرآة واحترام قدسيتها، إلا أن سياسة بونابرت التي أعلنها لم تمنع جنوده من اقتحام المنازل والاعتداء على الممتلكات ومصادرتها وفرض القروض الإجبارية على تجار الإسكندرية ورشيد وأعيان الرحمانية ، وتجاوز جنوده الحدود باعتداءاتهم المتكررة على النساء، مما أدى إلى رفض أهالي البحيرة وقبائلها لهذه التجاوزات واستخدام أساليب فرض القوة معهم والتي تتنافى مع مبادىء أقوام يجلون الشرف والشجاعة ويقدسون عزة النفس والإباء ويتفاخرون بالإقدام على مقاومة المحتل الغاصب لديارهم وهو ما أدى إلى استمرار المقاومة الوطنية وازدياد حدتها والقصاص من العدو فرادى وجماعات .

وكان من الصعب على المصرين من أهل البحيرة أن يتحملوا التجاوزات اللاإنسانية واللاأخلاقية والإهانات وانتهاك الحرمات؛ فلم ينته بعض القادة من الجنرالات ومن يليهم من رتب الضباط والجنود عن اقتحام العديد من المنازل في دمنهور وقرى البحيرة المختلفة، فكسروا الأبواب، وسرقوا الأموال، وأهانوا النساء (١٤٤)، وبلغت بهم الجرأة وعدم مراعاة المشاعر الإنسانية أن يفعلوا ذلك وفى حضور أرباب المنازل، فكانوا يتصرفون معهم ومع نسائهم وكأنهم أسرى حرب ، (١٤٥) ، على الرغم من الأوامر المتكررة للقائد العام بونابرت بعدم التعرض للأهالى وممتلكاتهم وحرماتهم وخاصة النساء، إلا أنهم لم ينتهوا عن تجاوزاتهم، مع استمرار سياسة القبض على

الرجال والنساء لأتفه الأسباب، وحرق القرى الآمنة التي خرجت عليهم ، وفرض الضرائب، والإتاوات، والمغارم، والقروض والسلف الإجبارية لتدبير احتياجات الحملة من الأموال.

وقد كان للحوادث التي شهدتها قرى البحيرة الآمنة التي مرت بها جحافل الغزو الفرنسي أثرها الواضح في نفوس أهل الإقليم ومن بينهم عربانه المتوطنين على تخوم الصحراء وأولئك الذين يعيشون على مقربة من خليج الإسكندرية، حيث أوغرت تلك الحوادث من اعتداءات، وهتك للأعراض، وسلب للأموال صدورهم وأزكت فيهم نار العداوة والبغضاء تجاه هؤلاء المعتدين (١٤٦) .

أضف إلى ذلك أن اعتداء الفرنسيين (الفرنجة) على أرض أمة إسلامية أعاد إلى الأذهان ذكرى الحروب الصليبية المريرة التي كادت أن تنسى منذ قرون عديدة، كما أعادت إلى نفوس المصريين ذكريات الأمس القريب باعتداءات لويس التاسع على دمياط والمنصورة ومن هذا المنطلق كانت روح الكراهية تظهر في الأفق يعلنها الأهالي في صورة مقاومة إيجابية أو سلبية كلما سنحت لهم الفرصة ، فقد ثار أهل دمنهور وضواحيها من العربان ضد الحامية الفرنسية وحاولوا مهاجمتها مما دفع بالجنرال كليبر أن يوجه الجنرال لتورك Le Turc على رأس بعض القوات الفرنسية لمحاولة فرض السيادة الفرنسية بضواحي دمنهور وجهات البحيرة المختلفة ولكنه فشل في مهمته، مما اضطر قيادة المنطقة بالإسكندرية إلى تعزيز قواتها بالبحيرة بإرسال الجنرال مورا G.Murat الذي أوفده الجنرال منو قائد منطقة رشيد عن طريق الرحمانية لمساندة لتورك بالبحيرة ، وتعاون القائدان لإنجاز مهمتهما الحربية ، فاستطاعا دخول دمنهور في ٢٧ نوفمبر ١٧٩٨ وقبضا على بعض زعماء الثورة بدمنهور وأعدم الكثيرين رمياً بالرصاص ، وفرضت إتاوة كبيرة من الغلال والمواشي على أهلها لصالح القوات الفرنسية، على أن عربان الإقليم رغم مساندتهم لثورة أهالي دمنهور انسحبوا من المدينة وأوغلوا على ظهور خيولهم في قلب الصحراء الغربية ، وفشل مورا في اللحاق بهم أو القبض على بعضهم (١٤٧).

وحاول الفرنسيون استخدام أسلوب المناوشات السريعة الذي لم يكن فعالاً مع العربان لذا فقد لجأوا إلى إرسال الكتائب الطوافة في المنطقة الواقعة جنوب الإسكندرية وحتى الرحمانية (١٤٨) ، ولتأمين طرق المواصلات الفرنسية، وتحصيل الضرائب، والاستيلاء على ممتلكات العربان من الماشية والخيول عن طريق الهجمات الخاطفة لمحاولة كسر شوكتهم وإجبارهم على الخضوع للسيادة الفرنسية(١٤٩) ؛ على أن الخطط الفرنسية لم تنجح في التعامل مع العربان لأن أغلبهم كان يعتمد على حياة الصحراء والتنقل وممارسة الرعي في أنحاء الإقليم.

رابعاً : دور عربان البحيرة في مقاومة الفرنسيين بعد احتلال الإسكندرية

أصبح إقليم البحيرة والإسكندرية بعد الاحتلال الفرنسي مباشرة غير مأمون العواقب للفرنسيين، ومن مظاهر ذلك حينما رست سفينة البريد الفرنسية أنيمون Animon على شاطىء العجمي تجنباً لاستيلاء الإنجليز عليها، فما إن نزل ركابها إلى البر حتى بادر العربان بمهاجمتهم وقتلوا من حاول المقاومة منهم ، والبعض ألقى بنفسه في مياه البحر طلباً للنجدة، وتمكن العربان من القبض على بعضهم وافتداهم الجنرال كليبر فيما بعد، إلا أن القائد العام بونابرت أعتبر هذا الأمر عدواناً على قواته يجب العقاب عليه فأمر بمهاجمة قرى البحيرة ونهبها وحرقت بعضها واستولى الفرنسيون على قطعان الأغنام والماشية مصدر الرزق الوحيد للقبائل البدوية في الإقليم (١٥٠) جزاءً لهم .

ومن مظاهر المقاومة السلبية لعربان البحيرة امتناعهم جزاء ذلك عن تقديم المساعدات للفرنسيين من الجمال والحمير التي يحتاجها الجيش الفرنسي (١٥١) ، وقاموا بتهريب هذه الحيوانات حتى لا يستفيد منها أعداؤهم (١٥٢)، كما قاموا بإخفاء ما تحت أيديهم من مواد تموينية وميرة يمكن أن تعين القوات المعتدية وتمكنوا كذلك من ردم آبار المياه الواقعة على جانبي طريق الإسكندرية – دمنهور على مقربة من الخليج مصدر المياه العذب الرئيسي للإقليم (١٥٣) ولثغر الإسكندرية وكان أهم اختصاصات كاشف البحيرة حفظ الأمن ، وحماية القرى من هجمات العربان المتجولين بأنحاء الإقليم حيث كان بعضهم يهاجمون بعض القرى الآمنة لسلبهم ما لديهم وخاصة في أوقات الحصاد (١٥٤) ومراقباتهم عبر مجرى الخليج الذي يخترق الإقليم ويقع بكامل مجراه في أراضيه حتى لا يمنعون جريان المياه اللازمة لري الحقول (١٥٥) مما دعا الجنرال كلير إلى التنبيه على حاكم البحيرة الفرنسي بضرورة مقاومة هؤلاء العربان والقضاء عليهم (١٥٦) .

وقد تعرض عربان البحيرة المتمركزين ما بين دمنهور والإسكندرية لعمليات السلب ومصادرة مواشيهم من جانب السلطة الفرنسية (١٥٧) والاستيلاء على محاصيلهم من القمح ، والشعير، والفول وغيرها ، وعلى أغنامهم وثيرانهم (١٥٨) .

ولهذا فقد وقف العربان في وجه تعسف الإدارة الفرنسية في جمع الضرائب مما أدى إلى هروب بعض الفلاحين من قراهم، ولم تكن العلاقة بين الفرنسيين والعربان على ما يرام، ولهذا أمرت القيادة الفرنسية في الإقليم بمهاجمتهم في أماكن تجمعاتهم المتفرقة بأنحاء الإقليم (١٥٩).

وإزاء هذه العلاقة بين الجانبين ، الأول وهو الذي غزا أرض البلاد ، والثاني المدافع عن وطنه ، فقد أمر القائد العام بونابرت قبل مغادرته الإسكندرية نحو البحيرة مباشرة بتكليف الجنرال ديموى بقيادة أحد الطوابير الطوافة داخل إقليم البحيرة لضمان أمن المواصلات الفرنسية بين الإسكندرية، ورشيد ، ودمنهور ، خاصة وأن العربان باتوا يشكلون خطراً داهماً على التحركات الفرنسية في هذه المنطقة (١٦٠) .

واستعد الجنرال ديموى للخروج من الإسكندرية ليجوب أنحاء البحيرة ويتولى تأمين اتصالات الفرنسيين مع القاهرة فشرع في تزويد كتيبته بالمؤن والزاد ؛ ولكنها لم تستطع أن تتزود بما يكفيها من الماء والدواب لأن عربان البحيرة سرعان ما انتشروا في كل مكان يبلغون الأهالي بأمر من حاكم الإسكندرية السيد محمد كريم بعدم تقديم أي نوع من أنواع المساعدة للفرنسيين ؛ واستجاب أهل البحيرة سريعاً لواجبهم الوطنى فقاموا بإخفاء دوابهم ومؤنهم وسلعهم ، ثم قاموا بردم آبار المياه الواقعة على طريق الفرنسيين ، وخرج ديموى في ٢٩ مسيدور/ ١٧ يوليو من الإسكندرية فوصل دمنهور بعد مقاومة عنيفة لقواته من الأهالي والعربان عند الكريون (كفر الدوار) ، وبركة غطاس ؛ ويقول ديموى أن كتيبته حينما بلغت دمنهور قوبلت بالمودة الظاهرية ، وما هي إلا لحظات حتى انهالت عليها طلقات البنادق من كل جهة بعد أن أجتمع عليها نحو ستة آلاف من الأهالي والعربان في هجوم مباغت ظل يزداد يوماً بعد يوم (١٦١) . وعلى الرغم من المودة المصطنعة للفرنسيين التي سرعان ما انقلبت إلى مهاجمات من

أفراد القبائل العربية للطابور الفرنسي فقتلت عدداً كبيراً من قواته ، فقد ظلت أعداد العربان تتزايد يوماً بعد يوم قادمة من أنحاء الإقليم مما استحال معه نجاح مهمة ديموى فآثر إخلاء دمنهور والعودة سريعاً إلى الإسكندرية للحتماء بقواتها بعد أن خسر عدداً كبيراً من قواته وفشل في مهمته فشلاً ذريعاً (١٦٢) .

وأمر ديموى كتيبته بالعودة من دمنهور بحذاء مجرى خليج الإسكندرية فلاقى جنوده الكثير من المتاعب الجمة نتيجة ملاحقات العربان بهجماتهم المتكررة عليهم وما نتج عنها من خسارة بشرية منيت بها قواته (١٦٣) وفى أثناء رحلة العودة كان ديموى يحاول أن يتفادى هجمات العربان محاولاً السير تارة بعيداً عن مجرى الخليج وتارة أخرى بحذائه لحاجة جنوده للمياه العذبة ؛ حتى بلغ قرية بركة غطاس(١٦٤) فهاجمه عندها عربان المنطقة بضراوة وظلوا يتبعونه ويلاحقون مؤخرة قواته حتى بلغ الكريون (كفر الدوار) بشق الأنفس فلم ينتظر بها إلا قليلاً من الوقت مؤثراً مواصلة السير دون توقف حتى بلغ مشارف أسوار المدينة والعربان تطارده ، ووصل الإسكندرية يوم ٢٠ يوليو بعد أن منى بخسارة بشرية كبيرة بلغت نحو ثلاثين جندياً ما بين قتيل ومفقود اختطفتهم فرسان العربان (١٦٥) .

وقد وصف الجنرال ديموى مظاهر هذه المقاومة التي واجهها وصفاً دقيقاً بعد خروجه من الإسكندرية مباشرة وقبل بلوغه (الكريون) ، حيث كان عدد العربان المهاجمين لقواته يزداد باستمرار كلما أوغلت السير نحو الجنوب داخل إقليم البحيرة ، ويقول ديموى : " لقد داخلنى الشك من الاتفاق بين الهجوم علينا ومغادرتنا للإسكندرية ، وخيل إلى هناك اتصالاً بينهم وبين أهالي الإسكندرية"(١٦٦) .

وإزاء فشل كتيبة الجنرال ديموى في إنجاز مهمتها في تأمين طريق المواصلات والخليج داخل إقليم البحيرة ، وما بدر من أهالي دمنهور يساندهم العربان من مقاومة باسلة للقوات الفرنسية ، فقد أصدر القائد العام بونابرت أمره العسكري على الفور إثر عودة الكتيبة للإسكندرية إلى مساعد الجنرال بيرب L'Adjudant Général .Birbes لكي يتولى حكم البحيرة باستثناء الرحمانية على أن يأخذ أهل دمنهور بالشدة والعنف

وتجريدهم من السلاح ، وإعدام خمسة من أعيان المدينة ووجهائها الذين اشتركوا في مهاجمة ديموى وقواته ، واعتقال نحو خمسة وعشرين آخرين (١٦٧) ، ونجح بيرب في تنفيذ تعليمات القائد العام مع أهل دمنهور ، ولكنه فشل في أن يتتبع فرسان عربان المنطقة الذين كانوا يتنقلون من مكان إلى آخر في أرجاء الإقليم وبخاصة في المناطق الغربية منه الرابضة في أحضان الصحراء .

وقد رأى الجنرال كليبر – الحاكم العسكري للإسكندرية أن كتيبة ديموى لا تستطيع أن تخضع إقليماً كبيراً في مساحة البحيرة ولاسيما القسم الشمالى المتاخم للثغر السكندري ، وأن الاضطرابات بهذا الإقليم لاتؤدى إلى قطع اتصالات الجيش فيما بين وحداته فحسب ، بل تؤدى إلى تهديد الإسكندرية برا وحرمانها من مياه الخليج (١٦٨)، فخاطب القائد العام بالقاهرة بشأن وضع حامية قوية من المشاة والفرسان المسلحة في دمنهور والكريون لتأمين مياه الخليج في المثلث الواقع فيما بين الإسكندرية ورشيد شمالاً والرحمانية جنوباً ، وكان أهل البحيرة لايزالون يقومون بقطع مجرى الخليج ليمنعوا وصول المياه إلى حامية الإسكندرية ، ولهذا فقد غادرت الإسكندرية كتيبة مكونة من ستمائة جندي وحاصرت بلدة بركة غطاس وأحرقت منازلها .

كما قام عربان الإقليم بمهاجمة الجند الفرنسيين على أطراف معسكراتهم الرابضة على مرتفعات عامود بومبى (السواري) ، وتمكنوا من قتل مساعد الجنرال كامان L'Adjudant général camin على مقربة من برج العرب بنواحي مريوط . وكان السيد محمد كريم لايزال على اتصال بالخلايا المجاهدة بالإقليم يوافيهم أولاً بأول بأخبار القوات الفرنسية عند خروجها من الثغر ، وكذلك القادمين إليها ليتصيدهم أبناء البحيرة ؛ إذ تروى المصادر الفرنسية أنه في يوم ١٣ يوليو ١٧٩٨ دخل إلى الإسكندرية اثنين من عربان البحيرة قبض عليهم الفرنسيون وبحوزتهم رسائل من السيد محمد كريم تحرض على الثورة ضدهم (١٦٩) .

وبذلك تأكد للفرنسيين أن تلك المقاومة القادمة من إقليم البحيرة لها من يمدها بالعون والمساندة من داخل مدينة الإسكندرية بزعامة السيد محمد كريم بعد ما كانت أصابع

الإتهام تشير إليه من قبل (١٧٠) ، كما قبض الفرنسيون بالإسكندرية على أحد عربان البحيرة يحاول تهريب بعض الأسلحة إلى خارج المدينة مما أدى إلى إعدامه ، وتشير المصادر الفرنسية إلى أن الطوابير الفرنسية المستمرة لمراقبة ضواحى الثغر ولمنع عربان شمال البحيرة من إثارة الذعر وإحداث القلاقل لقواتهم التي فشلت في مهمتها ، وقد نجح كثير من العربان في شراء السلاح من تجار الإسكندرية وإخفائه والخروج به بعد تهريبه قاصدين إقليم البحيرة (١٧١) .

وبدأ الجنرال كليبر يرتاب وبشدة في نيات السيد محمد كريم وإخلاصه لمبادىء الجمهورية الفرنسية (!!) إثر عودة كتيبة ديموى وفشلها في البحيرة وما أصابها من الإخفاق في دمنهور وفى رحلتها بالإقليم ومقتل عدد كبير من جنودها ، فاتهم محمد كريم بالخيانة والعصيان لتعاونه مع عربان البحيرة .

وكانت خسائر ديموى وفشله قد نالت من هيبة الفرنسيين بعدما أصبح عدم وفاء حاكم الإسكندرية للفرنسيين وإخلاصه لوطنه ظاهراً لايخفى على أحد ، وهنا قرر كليبر إقصائه عن منصبه وإخراجه من الإسكندرية لكسر شوكة المقاومة الوطنية في الإسكندرية والبحيرة ، فقرر القبض عليه يوم ٢٠ يوليو وإرساله للقاهرة لمحاكمته (١٧٢) ، ولم يتوان الجنرال كليبر عن معاقبة تجار الإسكندرية والبحيرة بفرض الغرامات والضرائب والسلف الإجبارية عليهم مقابل سندات لهم على خزانة الدولة لم يحصلوا عليها بعد ذلك مطلقاً (١٧٣) . كما أمر الجنرال لانوس G.Lanusse – قائد الفرقة الخامسة بمنطقة الإسكندرية في ٢٨ فريمير من السنة الثامنة بأن يقوم تجار رشيد ، وفوه ، وسنديون بجمع مبلغ قدره ثلاثون ألف بوطاقة (١٧٤) خلال أربع وعشرين ساعة ، كما قام بفرض الغرامات على قرى البحيرة المتاخمة للإسكندرية بواسطة أفراد الطابور المتحرك التابع لفرقته ، كما تم تجريد تسعة من أعيان الإسكندرية ، ورشيد ، والرحمانية من كل ممتلكاتهم لمعاونتهم للمقاومة ضد الفرنسيين(١٧٥) . ولاشك أن إعدام السيد محمد كريم يوم ٦ سبتمبر ١٧٩٨ بميدان الرميلة بالقاهرة أحدث تأثيراً كبيراً لدى المصريين الذين اعتبروه شهيداً لدفاعه عن

بلاده ، وازداد أوار حركة الكفاح من جانب عربان البحيرة الذين كانوا يعتبرونه عضداً لهم على الفرنسيين .

وكان من نتائج هزيمة الفرنسيين في معركة أبى قير البحرية (أول أغسطس ١٧٩٨) ، أن نشطت حركة المقاومة ضد الفرنسيين في الإسكندرية والبحيرة، تلك الحركة التي لم تتوقف منذ بداية الإحتلال ؛ فقد تعرض جنود الأسطول الفرنسي الرابض في خليج أبى قير قبيل المعركة البحرية مع الإنجليز في الخليج لهجمات عربان شمال البحيرة المتواجدين حول بحيرة ابى قير وذلك عندما حاول هؤلاء البحارة القيام بحفر آبار للمياه العذبة لحاجتهم إليها (١٧٦) . وأعرب أهالي الإسكندرية والبحيرة القريبين من أبى قير عن فرحتهم نتيجة لهزيمة الفرنسيين في خليج أبى قير هزيمة ساحقة وكان من آثارها تحطيم أسطولهم على أيدي الانجليز ، وازدادت حركات المقاومة في المنطقة ممثلة في هجمات العربان المتكررة على الطوابير الفرنسية المتحركة في إقليم البحيرة والتي أدت إلى اغتيال وأسر أعداد كبيرة من أفراد الجيش الفرنسي التي انخفضت معنوياتهم ويروى أحد علماء الحملة أحداث هذه المعركة معبراً عن موقف العربان قائلاً : إن عربان البحيرة المتاخمين لأبى قير ظلوا طوال ليلة ٤ أغسطس يشعلون النيران على مقربة من ميدان المعركة مبتهجين بانتصار الانجليز على الفرنسيين (أعدائهم) ، ولذلك كتب القائد العام من القاهرة إلى قائده كليبر في الإسكندرية يأمره بالتشدد وعدم التهاون مع المصريين عموماً لضمان الهدوء والأمن في تلك المنطقة الهامة للوجود الفرنسى مذكراً إياه باتخاذ الترتيبات الضرورية لضمان استمرار الإتصالات بين مقر القيادة في القاهرة وحامية الإسكندرية (١٧٧) .

على أن أهم ما تمخض من نتائج تلك المعركة هو التهديد المستمر للفرنسيين وتكالب القوى المضادة عليهم فقد أرسل الجنرال مينو– قائد رشيد إلى الجنرال مارمون G.Marmont – قائد منطقة الإسكندرية يقول له : " أخبركم – عزيزى الجنرال بأن سليم كاشف من تابعى مراد بك يقوم بالتحرك حول الإسكندرية وأبو قير وبرفقته خمسة من كبار المماليك وخمسة عشر رجلاً من أعراب البحيرة لإنتهاز الفرصة الملائمة لهم

للإتصال بالإنجليز ... " (١٧٨) بعدما أصبحت سفن الأسطول الإنجليزى يساعدها بعض السفن العثمانية تتحرك وبصورة دورية على الشواطىء المصرية وبخاصة على سواحل الإسكندرية والبحيرة ، وأصبح بمقدورها إنزال بعض الرسل إلى الأراضي المصرية في هذه المنطقة ما بين رشيد والإسكندرية لتحريض الأهالي على الثورة ضد الفرنسيين والذين لم يكونوا بحاجة لهذا التحريض ، وقام الجنرال مورا G.Murat بتنفيذ أوامر الجنرال منو – قائد رشيد باستخدام الشدة لقمع الحركات الوطنية (العدائية) ضد الوجود الفرنسي في دمنهور التي أصبحت في ظل الإحتلال تابعة لمنطقة الرحمانية العسكرية (١٧٩)، ونظراً لعدم الاستقرار الذي تنشده الإدارة الفرنسية في إقليم البحيرة وتأثيره على إدارة الإسكندرية فقد قرر الجنرال بونابرت توحيد قيادة المنطقة الشمالية وجعل رشيد وإقليم البحيرة تحت قيادة موحدة للجنرال مارمون قائد الإسكندرية(١٨٠) ورغم أنه أبدى حزماً في الاضطلاع بمسئوليته إلا أنه سيفشل في النهاية في السيطرة على هذا الإقليم مترامى الأطراف بإمكانياته البشرية وموقعه الإستراتيجى الهام .

وقد حاول بونابرت بعد هذه الهزيمة التي فتت في عضد الفرنسيين استمالة المصريين من خلال العمل على إرساء قواعد جديدة لحكم البلاد بمساعدة أعيان البلاد لإضفاء شيء من الشرعية على السياسات الفرنسية وإقرارها بفضل مكانة العلماء والفقهاء بتأليف دواوين الأقاليم وبحيث يتكون كل ديوان إقليمى من ثلاثة فقهاء ، وثلاثة تجار ، وثلاثة ممثليين للفلاحين وشيوخ البلد وقبائل البدو (١٨١) .

خامساً : العربان وخليج الإسكندرية

نظراً لأهمية خليج (ترعة) الإسكندرية والمعروفة بالخليج الناصرى في أغلب أجزائه وبترعة الأشرفية عند بدايته من الرحمانية ، باعتباره المصدر الوحيد للماء العذب اللازم لسكان الإسكندرية ، ووسيلة هامة للملاحة المائية وقناة ضرورية للرى عبر إقليم البحيرة والتي كانت إحدى فروع نهر النيل القديمة ؛ فقد كان كاشف البحيرة مكلفاً بصيانته سنوياً بإزالة الترسيبات السنوية الناتجة عن الفيضان والتي تعوق مجراه المائى لاستمرار تدفق المياه والملاحة من النيل حتى الإسكندرية ، وأن يشرف على صيانة الجسور المحيطة بضفتيه وإصلاحها وأن يحول دون قطعها عمداً على أيدي السكان القاطنين بجواره وعلى شاطئيه . وكان الكاشف يتلقى سنوياً نسبة من جمارك الإسكندرية لتغطية هذه النفقات تزداد عاماً بعد آخر(١٨٢) ، بلغت في عام مجيء الحملة نحو ١٦ ألف مدينى (١٨٣) ، وقد زيد المبلغ لكاشف البحيرة إلى ٢٢,٥٠٠ قرش من جانب الفرنسيين نظير تأمين المجرى من تعديات عربان الإقليم المستمرة عليه لقطع ورود المياه لحامية الإسكندرية الفرنسية، وبحيث لا يتم دفع المبلغ للكاشف إلا بعد أن يشهد أعيان الثغر السكندري بالمحكمة بأن الخزانات قد امتلأت بالمياه (١٨٤) ، وقد أولى القائد العام بونابرت اهتماماً كبيراً بهذه القناة الملاحية باعتبارها وسيلة هامة للمواصلات النهرية بين القاهرة والإسكندرية وتيسيراً لإمدادات الجيش ، وبناءً على أوامره وضع المهندسون العسكريون خطة للعمل بهذه القناة في مقدمة برامجهم للأشغال العامة ، وأوكل إلى المهندسين مولين Moline ، ورينو Regnault مهمة إنجاز الصيانة اللازمة لها(١٨٥) بعدما عجز كاشف البحيرة عن مواجهة تعديات العربان على المجرى المائى أو ربما كان متعاوناً معهم في مواجهة الفرنسيين الذين كانت حاجتهم شديدة لهذا المجرى حيث كانت تنقل شحنات الحبوب من مصر العليا (الصعيد) المقررة كضرائب سنوية على بلدانه إلى حامية الإسكندرية الحربية (١٨٦) ، ولهذا اقترح الجنرال كليبر – قائد الإسكندرية مبكراً وفى يوم ٣١يوليو ١٧٩٨ على القائد العام بونابرت وضع حاميات قوية من فرق المشاة والفرسان مسلحة بالمدافع الخفيفة في

دمنهور والكريون (كفر الدوار) لحماية جانبى القناة من الأهالي والعربان الذين يقومون بقطع الجسور لمنع وصول المياه لحامية الإسكندرية الفرنسية ، ووافق القائد العام على قيام كتيبة مسلحة مكونة من ستمائة جندي لحماية المجرى المائى عبر الإقليم ، وفى شهر أغسطس ١٧٩٨ وأثناء الفيضان قام أهالي قرية بركة غيطاس (غطاس) بمساعدة العربان بقطع مجرى القناة لحرمان حامية الإسكندرية الفرنسية من مصدر مياهها العذب ؛ وذلك بردم القناة بالأتربة تجاه البلدة مما حدا بالجنرال كليبر – قائد المنطقة بالإسكندرية بإصدار أوامره إلى قائد الفرقة الجنرال برتلمى G.Barthelemy – بالتوجه على رأس فرقة مكونة من ستمائة جندي من المشاة وخمسين من الفرسان ، وبحوزتهم قطعتين من المدفعية لمعاقبة أهالي القرية التي تجرأت على الفرنسيين ، فقام برتلمى بحرق القرية وقطع رؤوس بعض العربان الذين تمكن من القبض عليهم من أولاد على لمساندتهم أهل القرية ، ووضع رؤوسهم على قمة زانة ليشاهدها أبناء القرية وأهل البحيرة حتى يكونوا عبرة لمن تسول لهم أنفسهم التجرؤ على قوات الاحتلال . كما وزعت المنشورات باللغة العربية لأهالي قرى البحيرة الرابضة على طول ضفتي القناة تحمل الوعيد والتهديد للخارجين على سلطة الفرنسيين (١٨٧) .

ولم يكن تهديد الفرنسيين فارغ المضمون والهدف ؛ إذ أمر الجنرال بونابرت في يوم ٢٥ أغسطس ١٧٩٨ بحرق قرية علقام (١٨٨) التي تمكن أهلها وعربانها من قتل ستة عشر فرنسياً في كمين نصبوه لهم ، وصادر ممتلكات أهلها من المواشى والغلال ، وسيق أعيان أهلها إلى القاهرة كرهائن (١٨٩) .

وفى ٢٠ سبتمبر ١٧٩٨ قام الجنرال مارمون – قائد حامية الإسكندرية بنفسه ومعه قواته بالتوجه إلى دمنهور بحذاء المجرى المائى لتأمينه وأصلح بعض أجزاء الجسور التي قطعها العربان ، ثم أقام المخافر (الحراسات) الثابتة على أجزاء من الشواطىء وترك ألفى جندي من قواته لحراستها والسهر عليها ، وجعل من الرحمانية بداية القناة مركزاً رئيسياً لهذه القوات التي خصصت لتأمين المجرى فقط(١٩٠) .

على أن الاضطرابات التي كثيراً ما كانت تحدث بإقليم البحيرة هددت بالفعل جريان المياه للإسكندرية وحرمت أهلها بما فيها حاميتها الفرنسية من استمرار تدفق المياه العذبة إليهم ولهذا حرصت القيادة الفرنسية دوماً على تأمين القناة وشواطئها وحراستها بالطوابير المتحركة مما كان يمثل عبئاً ثقيلاً على القيادة العامة وقيادتى الإسكندرية والرحمانية ، بل فشلت هذه القيادة في استمرار الملاحة وورود المياه للإسكندرية إزاء المحاولات المتكررة للعربان وتحديهم للفرنسيين (١٩١) .

وفى عهد قيادة الجنرال منو الذي كان من أنصار فريق البقاء في مصر وتحويلها إلى مستعمرة فرنسية ؛ مما جعله يولى إهتماماً كبيراً بإصلاح نظم الرى وتطهير مجرى خليج الإسكندرية لخدمة الزراعة والملاحة النهرية بين القاهرة والإسكندرية ، وكان من بين محاولاته المتعددة ذلك الأمر الذي أصدره في ٢٧ يوليو ١٨٠٠ إلى دى فيلليه دى تيراج Dévilliers du Terrage– مهندس القناطر والرى بالتوجه إلى الرحمانية لإصلاح المجرى للملاحة النهرية ما بين الرحمانية والإسكندرية ، إلا أن الجنرال ديستان G.Déstaing – قائد حامية الرحمانية رفض تخصيص بعض الجنود لحراسة المهندس الفرنسي وفرقته أثناء مهمته وحماية العمال المتوفرين على هذا العمل من إغارات العربان المستمرة عليهم ، فتعطل العمل في المشروع رغم أن المهندسين لانكريه Lancret ، وفيار Viard قد سبقا دى تيراج إلى الرحمانية لهذا الغرض ، وبذلك كان للعربان وهجماتهم المتكررة على الفرنسيين المكلفين بهذا العمل أثر واضح في عجز القيادة الفرنسية عن تنفيذ سياستها في إدارة دفة الأمور في البلاد (١٩٢) .

ولم تكن قرى البحيرة الرابضة على ضفاف فرع نهر النيل الغربي (رشيد) ببعيدة عن معترك المقاومة الوطنية في مواجهة جنود الإحتلال الفرنسي ؛ فقد تمركز بهذه القرى عدد كبير من عربان المغاربة الوافدين من صحراء مصر الغربية،وألفوا الزراعة واستقروا مع إخوانهم فلاحى تلك القرى ، وكانوا دائماً ما يهددون سفن البريد Le Courrier الفرنسية المتنقلة في النيل ما بين القاهرة و الإسكندرية عبر طريق رشيد أو عن طريق الرحمانية من خلال خليج الإسكندرية. وكان الفلاحون والعربان يهاجمون

هذه السفن ويتمكنون منها ويقومون بسحبها نحو الشاطىء ويقتلون من فيها من الفرنسيين (١٩٣) ، ولهذا أمر القائد العام بونابرت بإتخاذ كافة الاحتياطات لتأمين خط سير هذه السفن من خلال الدوريات الطوافة ، وأصدر على الفور أمره العسكرى للجنرال لانG.Lannes للتوجه على رأس كتيبة نحو قريتى النجيلة وكفر غرين (١٩٤) لمعاقبة أهاليهما لإطلاقهم الرصاص على السفن الفرنسية السائرة في النيل ، ولأنهم هددوا الملاحة فيما بين القاهرة والرحمانية ، واعتقل لان بعض الرهائن من أبناء هاتين القريتين وغيرهما منذراً الأهالي بأنه في حالة وقوع أي إعتداء على السفن فسوف تحرق القرية بكاملها ، أو تقطع رؤوس الرهائن من أهلها (١٩٥) . وقد قام الفرنسيون بتنفيذ تهديداتهم مع أهالي قرية علقام الواقعة على نهر النيل حينما قام الجنرال لانوس بحرق القرية بكاملها . بأمر بونابرت وتخريب بيوتها عن بكرة أبيها لما بدر من أهلها تجاه سفينة الكابتن جرليان C.Grelian – ياور القائد العام وجنوده والذى كان يحمل رسالة موجهة إلى قيادة الإسكندرية وأخرى إلى الجنرال بريس G.Bruce في أبى قير حينما جنحت بهم السفينة إلى الشاطىء الغربي لفرع رشيد فخرج عليهم أهل القرية وقتلوهم عن آخرهم(١٩٦) .

سادساً : عربان البحيرة دعامة ثورة المهدى

تعتبر ثورة المهدى المغربي واحدة من حركات الكفاح الوطنى التي واجهت الحملة الفرنسية في مصر ، وكانت سبباً في زعزعة وجودها في البلاد ، بل إنها مثلت علامة بارزة في حركات الجهاد الوطنى المسلح ليس في إقليم البحيرة فقط ؛ بل في جهات مصر بأكملها .

ومن الجدير بالذكر أن تتوحد كلمة أبناء مصر والعروبة على عقيدة وطنية واحدة ؛ ففى نفس الأيام الذي يثور فيها أبناء البحيرة وعربانها من المغاربة وغيرهم من بنى العرب في معركة سنهور الباسلة على الغزاة ، يثور أبناء إقليم أسيوط وعربانها في بنى عدى يساندهم أشقائهم من عرب الحجاز ودارفور لصد محاولات الجيش الفرنسي بقيادة الجنرال دافو G.Dafeau لاقتحام البلدة والسيطرة عليها بعد إحراقها وتدمير معظم منازلها .

وقد أوردت جميع المصادر العربية والفرنسية المعاصرة بلا استثناء أنباء ثورة المهدى المغربي كأول انتفاضة شعبية شبه منظمة ضد قوات الاحتلال ، وتنسب هذه الثورة إلى أحد أبناء المغرب العربي من مراكش ويدعى مولاى محمد المهدى المغربي(١٩٧) ، على أن بعض المصادر الفرنسية نعتته باسم أحمد (١٩٨) .

وقد اشتهر المهدى بالتقوى والصلاح بين أهل المغرب ، وامتاز بفصاحة اللسان ؛ مع الجرأة والغيرة الدينية ؛ فلما وصلت أنباء الغزو الفرنسي لمصر إلى بلاد المغرب خرج قاصداً مصر ليجاهد الفرنسيين مع أبناء عروبته (١٩٩) مدفوعاً بالعاطفة الدينية ؛ خاصة وأن مصر عموماً والبحيرة خصوصاً يقطنها عدد كبير من أبناء بلدان المغرب العربي .

وقد رحل المهدي من بلاد المغرب يرافقه نحو خمسة وعشرون رجلاً فقط (٢٠٠) فلما بلغ الصحراء الغربية لمصر ازداد عدد المؤيدين له ؛ ففي واحة سيوه التقى بقافلة من الحجاج المغاربة من فاس تضم نحو أربعمائة رجل عائدة من أداء الفريضة

لبلادها ، واستطاع بفصاحته وبلاغته أن يقنعهم بحتمية الجهاد في سبيل الله ومصاحبته بالرجوع مرة أخرى إلى مصر لمقاومة الفرنسيين (٢٠١) .

وقد انضم لقوات المهدى خلال أيام قلائل من دخوله أرض البحيرة نحو مائتين من العرب المغاربة المقيمين بالبحيرة ؛ وسرعان ما التف حوله عربان الإقليم من أبناء المغرب العربي وشبه الجزيرة العربية ؛ وأعداد كبيرة من الفلاحين (٢٠٢) الذين أثارتهم حمية الواجب والشرف وبدافع وطنى عقائدى بعدما رأوا أو سمعوا عن التجاوزات التي أحدثها جنود الاحتلال أثناء عبورهم الإقليم مع أبناء القرى والبلدان الآمنة . على الرغم من أن الأحوال بالبحيرة كانت قبل قيام الثورة بقليل شبه هادئة بعدما قام الجنرال ديستان – قائد منطقة الرحمانية بعدة حملات ضد عربان البحيرة بهدف تأكيد سلطة الفرنسيين على هذا الإقليم (٢٠٣) .

وتذكر المصادر الفرنسية المعاصرة أن رجال نحو عشرة قبائل من عربان البحيرة أغلبها من القبائل المغربية انضوت تحت لواء المهدى لمنازلة الفرنسيين ودانوا له بالولاء ، ومن هذه القبائل : أولاد على ، والهنادى ، والفوايد ، والجوابى، والجبالى ، إلى جانب فلاحى الإقليم الذين وقفوا إلى جوار المهدى جنباً إلى جنب مع إخوانهم العربان مدفوعين بضرورة الدفاع عن وطنهم ومجاهدة الفرنسيين (٢٠٤) ففى أواخر شهر أبريل ١٧٩٩ اتجه المهدى بقواته التي لم تتعد في البداية ستمائة رجل من غرب البحيرة نحو عاصمتها دمنهور فبلغها يوم ٢٥ من نفس الشهر وحاصر حاميتها الفرنسية التي كانت تزيد على المائة فرد بقليل والمكلفة بحماية ترعة أو خليج الإسكندرية وتأمين مياهها وملاحتها تحت قيادة الكابتن مارتان C.Martin ، ونجح المهدى بقواته من مباغتتهم وعزلهم عما حولهم حتى لا تصل إليهم أي مساعدات من الحاميتين القريبتين بالرحمانية في الشرق والإسكندرية في الشمال الغربي (٢٠٥) . ولم يسعف الفرنسيون محاولاتهم للهرب والفرار أمام قوة المهدى وأتباعه من العربان الذين استولوا بنجاح على أسلحة الحامية وقطعة من مدفعيتهم الثقيلة (٢٠٦) وتمكن من السيطرة على الحامية التي تقع على منطقة مرتفعة من التل الذي تقع عليه المدينة .

وحينما علم الجنرال مارمون G.Marmont – قائد الإسكندرية بهذا النبأ غير السار لقيادته الفرنسية قام بتوجيه قوة مسلحة من الجنود مزودة بالمدافع بقيادة الكولونيل ريدو Rédon لتعقب جيش المهدى على أن يتصل بالكتيبة الطوافة بإقليم البحيرة تحت قيادة الكولونيل لوفيفر Léfebvre الذي كان يطوف بكتيبته أنحاء الوجه البحري لجباية الأموال ومعه مائتى جندي ، ووصل لوفيفر إلى دمنهور في اليوم التالى (٢٦ أبريل) وشاهد آثار الدمار والهلاك الذي أحدثه المهدى ورجاله بحامية دمنهور التي قتل رجالها وهرب بعضهم للاحتماء بقلعة الرحمانية ، ولم يخاطر بتعقب المهدى الذي عظم أمره واشتدت شوكته والتف حوله أهالي البحيرة وعربانها ، فآثر الضابط الفرنسي الالتجاء إلى قلعة الرحمانية برجاله للاحتماء بها طالبا النجدة من قائدها الجنرال ديستان وحاميتها القوية التي كانت أهم قلاع وحاميات الفرنسيين في الوجه البحري بأكمله (٢٠٧) وظل بها منتظراً وصول المدد من حامية الإسكندرية بقيادة الضابط ريدو الذي خرج منها يوم ٢٧ أبريل على رأس كتيبة من المشاة وثلاث مجموعات من قاذفى القنابل ترافقهم قطعة من مدفعية الميدان الثقيلة بهدف التعاون مع لوفيفر للقضاء على المهدى وأعوانه من عربان البحيرة المؤيدين للثورة والذين ساهموا في الخلاص من حامية دمنهور ، غير أن فرسان العربان ومقاتلوهم هاجموا كتيبة ريدو قبل أن تتمكن من بلوغ دمنهور استطاعوا خلال عدة ساعات من القتال المتواصل هزيمة القوات الفرنسية التي خسرت عدداً كبيراً من أفرادها (٢٠٨) . وأصبح لانتصار المهدى وأعوانه على الفرنسيين منذ البداية وقضائهم على حامية دمنهور تأثير كبير على المصريين في كل أنحاء البلاد بعد أن وصلت أنباء انتصارته إلى القاهرة وصعيد مصر الذي كان لايزال يقاوم القوات الفرنسية بقيادة الجنرال ديزيه ؛ مما أدى إلى انضمام كثير من أهالي الإقليم إليه من مختلف الجهات الدانية والقاصية فزاد عدد أتباعه وقوى اعتقاد الناس في قوته وقدرته على هزيمة أعدائه (٢٠٩) .

وأجبر القائد ريدو بعد هزيمته شمال دمنهور إلى العودة خائباً إلى الإسكندرية مرة ثانية (٢١٠) ، وكان لهزيمته أثرها السيء على قوات الكولونيل لوفيفر التي حاولت

الخروج من الرحمانية لمقابلة قوات ريدو والإلتحام معها عند دمنهور لضرب قوات المهدى ؛ حينما علمت بنبأ هزيمة ريدو وعودته منسحباً تجاه الإسكندرية (٢١١) حيث لم تسلم قواته عند عودتها من تعرضها لهجمات شديدة من جانب فرسان عربان المغاربة التي فاجأته من كل صوب من الصحراء الغربية وأجبرت هذه القوات على التخلى عن ذخيرتها ومدافعها الثقيلة للإسراع بدخول الإسكندرية (٢١٢) .

وإزاء فشل ريدو في إنجاز مهمته التي أوكلها إياه الجنرال مارمون -قائد الإسكندرية وفشل لوفيفر الذي أسرع هو الآخر بالعودة تجاه حامية الرحمانية مرة أخرى ، فقد أصدر مارمون أمره العسكري إلى مساعد الجنرال جوليان L'Adjudant Général Jullien – المقيم بقلعة رشيد للاتجاه صوب الرحمانية على رأس قواته نحو الجنوب عبر الطريق البرى المحاذى لفرع نهر النيل الغربي لإنجاد حاميتها المتمركزة بالقلعة خشية سقوطها في أيدي قوات المهدى التي تتضاعف يوماً بعد يوم بعد انتصاره في دمنهور ، وكان مارمون يفكر حينئذ أن يترك الإسكندرية ويتوجه بنفسه إلى الرحمانية لنجدة الجيوش الفرنسية التي اندحرت المرة تلو الأخرى بالبحيرة(٢١٣) .

واتجه جوليان بقواته التي بلغت ثلاثمائة مقاتل تصحبهم أربع قطع من المدفعية صوب الرحمانية ، حيث وجد بها الكولونيل لوفيفر مع قواته في حالة يرثى لها من الحزن والكآبة لهزيمته من المهدى في دمنهور وفراره أمام قواته . واتجه الضابطان الفرنسيان بقواتهما من الرحمانية صوب دمنهور لمنازلة قوات المهدى التي تزايدت أعدادها فبلغت زهاء ١٥ ألف مقاتل من المشاة وأربعة آلاف من الفرسان أغلبهم من العربان ومعهم قطعة من المدفعية الثقيلة التي غنموها من الفرنسيين في دمنهور (٢١٤) وكان المهدى على علم بما يدور بالمعسكر الفرنسي بالرحمانية فامتلك زمام المبادأة ولم ينتظر مجيء الفرنسيين إليه فبادر بالتحرك من دمنهور قاصداً الرحمانية شرقاً ، والتقى الفريقان في اليوم الثالث من مايو ١٧٩٩ في منتصف المسافة بين المدينتين عند بلدة سنهور (٢١٥) لتدور رحى أهم معركة للمقاومة المصرية في عهد الحملة الفرنسية .

ورغم أن المعركة دارت بين فريقين غير متكافئين من حيث الإعداد والتنظيم وقوة النيران التي أصطحبها الفرنسيون معهم من رشيد والرحمانية ، إلا أن شجاعة العربان والفلاحين واستخفافهم واستهانتهم بالموت أذهلت الفرنسيين الذين وصفوهم في كتاباتهم بـــ " المجاهدين في سبيل الله " (٢١٦) .

واستمر النزال بين الجانبين المتحاربين : المصرى – العربي ، والفرنسى طوال نهار يوم ٣ مايو وحتى منتصف ليلة ٣ – ٤ مايو ، أبدى فيه أتباع المهدى من العربان والفلاحين شجاعة نادرة وبسالة في القتال المستميت أمام التنظيمات الفرنسية الحديثـــة من جانب لوفيفر وقواته التي انكسرت في دمنهور من قبل ؛ تســـانده قـــوات جوليـــان القادمة من رشيد .

وخارت قوى الجنود الفرنسيين الذين انهالت عليهم ضربات جموع المهدى رغم قوة وكثافة النيران الفرنسية ، مما دفع لوفيفر في التفكير في الإنســـحاب مـــن ميـــدان المعركة متجهاً صوب الرحمانية مرة أخرى ، ولكنه هـــذه المـــرة غـــامر بمســـتقبله العسكري معتمداً على قوة مدافع الميدان وتجميع قواته وتنظيمها في شكل مربعات وهى الخطط التي ابتدعها قائده الأعلى بونابرت في حروبه العديدة وطبقها مرؤسيه في حسم معاركهم لمصلحتهم (٢١٧) .

واشتد وطيس المعركة بين الفريقين في سنهور ، وكانت قوات المهدى لا تـــزال صامدة طوال نهار ذلك اليوم رغم خسارتها البشرية التي بلغت نحو أكثر من ألف شهيد منهم شيخ قبيلة الهنادى مراد عبد الله ، وعبد الله الشوربجى ، وعبد الله باشا من مشايخ دمنهور (٢١٨) مما يدل على مدى التحام فئات أبناء الإقليم مع أشقائهم المغاربة في الذود عن أرض الكنانة مصر .

وعلى الرغم من هذه الخسارة البشرية الفادحة التي منيت بها قوات المهـــدى مـــن العربان والفلاحين بالمقارنة لخسارة الفرنسيين التي لم تتجاوز الستين رجلاً ما بين قتيل وجريح (٢١٩) فإنه توجه من سنهور صوب المشرق قاصداً الرحمانية على أثر قـــوات جوليان ، ولوفيفر بغية الاستيلاء على قلعتها بعدما أسرعت القوات الفرنسية للإحتماء

بها دون أن تنازله (٢٢٠) ، ولم يطل به الوقت محاصراً قلعة الرحمانية إذ آثر العودة بقواته إلى دمنهور متخذاً منها معسكره الدائم فأصبحت مواقع القيادة الفرنسية في الرحمانية ، والإسكندرية ، والقاهرة شبه جزر منعزلة عن بعضها نتيجة لمعركة سنهور وثورة المهدى إذا ما رصدنا نتائج معركة بنى عدى (١٨ أبريل) في نفس الوقت في إقليم أسيوط وعدم مقدرة الجيش الفرنسي على فرض النصر الحاسم لصالحه في شمال أو جنوب مصر ، خاصة وأن القائد العام بونابرت كان لايزال يحارب في بلاد الشام مشغولاً ومهموماً بما ألم بقواته من خسارة بشرية ونفسية في يافا وعكا .

وإزاء هذا الخطر المحدق بالفرنسيين في مصر من جانب القوى الشعبية فقد بادر الجنرال دوجا – قائد منطقة القاهرة والوجه البحري بإصدار أوامره باعتباره الرجل الثاني في القيادة بإصدار أوامره إلى الجنرال لانوس الذي كان مكلفاً على رأس قواته بمحاربة أمير الحج – مصطفى بك بإقليم الشرقية، بالعودة على عجل إلى إقليم البحيرة لإخماد ثورة المهدى بها تاركاً مطاردة مصطفى بك ، بعدما استفحل أمر المهدى وأصبحت ثورته تمثل خطراً جسيماً على أمن واستقرار الجيش الفرنسي ، كما أمر الجنرال فوجيير G.Fugiére بالتوجه هو الآخر من إقليم الغربية بقواته صوب الرحمانية فبلغها يوم ٩ مايو قاصداً دمنهور للإلتقاء مع قوات لانوس .

وفى اليوم التالى (١٠مايو) تجمعت القوتان أمام دمنهور لمقاتلة رجال المهدى الذين أنهكهم قتال سنهور ، وأرهقهم حصار قلعة الرحمانية خلال عدة أيام متتالية ، فتفرق منهم الكثيرون في أرجاء البحيرة لتصبح مدينة دمنهور وسكانها الآمنين في مواجهة جحافل الفرنسيين، فأعملت فيها قوات لانوس وفوجيير القتل والسلب وأضرموا في منازلها النيران ، وقتلوا الكثير من مواطنيها الآمنين من الشيوخ والأطفال والنساء متجاوزين كل الأعراف البشرية في التعامل مع السكان المسالمين(٢٢١) وقد ظل عربان المغاربة من قبائلها المتفرقة في البحيرة يدافعون عن المدينة أمام حشود الفرنسيين التي تمكنت من السيطرة التامة عليها ، وفعلوا بها كما فعلوا بقرية بنى عدي بإقليم

أسيوط(٢٢٢) .

وتمكنت قوات لانوس من الانتقام من سكان دمنهور نتيجة موقفهم المؤيد للمهدى وأعوانه فلم يبق من دورها ومساكنها سوى الأحجار السوداء القاتمة التي اختلطت بها أشلاء الجثث ودماء القتلى من أبنائها (٢٢٣).

وكتب لانوس بعد حوادث دمنهور يقول : " إن دمنهور زالت من الوجود ، وقد أحرق أو ضرب بالنار ألف ومائتان إلى ألف وخمسمائة من أهلها " (٢٢٤) وكان الجنرال كليبر – قائد الحملة أثناء غياب بونابرت يواصل إرسال إمدادات شبه يومية من الرجال والعتاد إلى قائد منطقة الإسكندرية الجنرال فريان G.Friant أثناء أحداث الثورة بالبحيرة خشية امتداد أثرها على الإسكندرية المتاخمة لها (٢٢٥) .

كما أن أعمال المقاومة من جانب عربان البحيرة لم تتوقف فقد أصدر الجنرال منو– قائد رشيد أمره إلى مساعد الجنرال جوليان بقطع رقاب اثنين من العربان ضبطا وهما يقومان بتهريب السلاح من الإسكندرية أثناء ثورة المهدى (٢٢٦) .

نتائج ثورة المهدى :

حاولت المصادر الفرنسية أن تهون من شأن ثورة المهدى المغربي التي زعزعت الوجود الفرنسي بمصر ؛ بعد أن تكالبت عليه وعلى مؤيديه الخطوب نتيجة تكاتف القوى العسكرية الفرنسية بتجميعها ضده من كل حدب و صوب، فهاهو المؤرخ العسكري للحملة دى لاجونكيير يصف هذه النهاية التي أسعدت القيادة الفرنسية بقوله :إن أتباع المهدى تفرقوا وابتعدوا عنه وقضى الفرنسيون على أفكاره التي تسلطت على عقول البسطاء السذج (٢٢٧) بل وأفاضت هذه المصادر في وصف صورة مأساوية له بقولها :بأنه كان أول الفارين من المعركة مع عربان البحيرة ؛هائماً على وجهة ومعه مؤيدوه في أرجاء الإقليم (٢٢٨) مع أن صدى ثورته وشجاعة تابعيه من العربان في مواجهة الفرنسيين اهتزت لها أرجاء المعمورة ، وكبدت أعدائه من الخسارة البشرية و الحربية مالم يدانيه من خسارة نتيجة المقاومة الشعبية خلال أكثر من ثلاث سنوات هي عمر الوجود الفرنسي في مصر .

ولم تكتف هذه المصادر بتشويه صورة هذه الثورة الوطنية الملفوفة براية العروبة ؛ بل إنها أسهبت في وضع نهاية محزنة لما تمخض عن تلك الثورة حينما قام الجنرال لانوس بعد إحراقه لمنازل مدينة دمنهور ونهب و سلب ثروات الأهالي ، بتعقب رجال المهدى وهو على رأسهم حتى لحق بهم عند تخوم البحيرة مع الصحراء الغربية وقتله يوم ٢٠ مايو (٢٢٩) و هو مالم تؤكده المصادر المعاصرة الفرنسية والعربية على السواء لأن أهالي البحيرة وعربانها التفوا حوله (٢٣٠) ولم يكن من الميسور على الفرنسيين الوصول إليه .

وقد حاول لانوس جاهداً تتبع رجا ل المهدى وتشتيتهم ولكنه فشل فما كان منه إلا أن انتقم من أهالي كفر بوريج (٢٣١) بحرق مساكن القرية وقتل نحو مائة وخمسون رجلاً من أهلها الذين عضدوا المهدى وساندوه على الكفاح ضد الفرنسيين(٢٣٢) كما قام الفرنسيون بمهاجمة فريق من عربان المغاربة ينتمون لقبيلة الهنادى الذين شايعوا المهدى عند قرية نكلة (٢٣٣) .

وتؤكد كثير من المصادر العربية والفرنسية أيضاً على أن نهاية المهدى لم تكن بيد القوات الفرنسية ؛ بل إنه غادر البحيرة وأرض مصر جميعها بعد فشله في طرد الفرنسيين من البلاد لأن هذا الهدف أصبح يفوق مقدرته ومن شايعه من عربان البحيرة وفلاحيها .ويرى البعض أنه ربما غادر البلاد المصرية متوجهاً إلى بلاد الشام حيث مكث بها لفترة مع الفئة التي آثرت مرافقته وعدم التخلى عنه مؤمنة بقضية الجهاد ، ثم عاد بعد ذلك إلى مصر مع حلول شهر يناير من عام ١٨٠١ م . وحاول بعد عودته تحسس أخبار الحاميات الفرنسية في كل من دمنهور والرحمانية والمراكز المتفرقة بأنحاء البحيرة ؛محاولاً إعادة بناء قوته مرة أخرى من مجاهدى عربان الإقليم المؤمنين بنصرة قضيته فى الدفاع عن أرض مصر (٢٣٤) ، ولكنه لم يوفق في إعادة شحذ النفوس مرة أخرى وتجميع فصائل العربان بأكملها رغم أن بعضهم من الهنادى ،والفراتيس ، وأولاد على ظلوا يلازمونه وبعد أن نجحت القيادة العامة الفرنسية خلال وجود المهدى ورجاله خارج البلاد المصرية من توقيع معاهدة سلام مع بعض شيوخ الهنادى ؛ مما اضطره إزاء هذا الموقف الصعب أن يتوجه إلى صعيد مصر باحثاً له عن أرض جديدة يتمكن فيها من نشر دعوته للجهاد من جديد ضد الفرنسيين (٢٣٥) ، ولكن الموقف في جنوب البلاد أصبح هادئاً بعد أن قام مراد بك بتوقيع معاهدة سلام مع الجنرال كليبر في الخامس من أبريل ١٨٠٠ م. وبذلك ضمن القائد العام الفرنسي تشتت رجال المهدى وعدم التفافهم حوله، ولكنه في نفس الوقت لم يتمكن من القبض على المهدى نفسه (٢٣٦) ومع أن ثورة المهدى لم تؤدى إلى إنهاء السيطرة الفرنسية على البلاد وخاصة في الشمال ، إلى أنها هزت استقرار الوجود الفرنسي وكانت أحد العوامل التي زلزلت أركانه في مصر كلها ،وزعزعت ثقته في جنده على البقاء في مصر لفترة طويلة ، وأكدت على مفهوم التضامن العربي الإسلامى .

سابعاً : قيادة الجنرال منو Ménou وموقفه تجاه عربان البحيرة

منذ أن تولى الجنرال منو Ménou القيادة العامة لجيش الشرق L'Armée d'orient في مصر إثر مقتل الجنرال كليبر على يد سليمان الحلبى عصر يوم السبت ١٤ يونيو ١٨٠٠م/٢١ محرم ١٢١٥هـ ،وهو يتبنى سياسة اتسمت بالظلم والإرهاق تجاه المصريين . ولم يكن ذلك جديداً عليه ؛ إذ أنه اعتنق هذا المبدأ الاستعمارى منذ أن كان قائداً لمنطقة الإسكندرية في عهد الجنرال كليبر، وظهر ذلك جلياً حينما اعتقل مشايخ دمنهور لمدة طويلة ولم يخرجهم من السجون إلا بشفاعة الشيخ محمد المسيرى كبير(علماء الإسكندرية) في مقابل تعويض مالى يدفعونه حتى و إن كانوا عاجزين عن تدبيره ، وهكذا ازدادت النفوس نفوراً من الفرنسيين على الرغم من اعتناق منو للإسلام وتظاهره بالتقرب من المسلمين(٢٣٧) .

وكان الجنرال منو قد حاول القيام ببعض المشروعات الإصلاحية في مجال الزراعة وبخاصة فيما يتعلق بتحسين وسائل الرى حول خليج الإسكندرية في محاولة لاجتذاب ولاء الأهالي في الإسكندرية والبحيرة ورشيد ، بهدف تحسين العلاقة بين الفرنسيين وأهالى منطقة غرب الدلتا واستمالتهم لتأييد سياسته الإدارية وإنجاح تجربته الإستعمارية (٢٣٨) .

وكان الفرنسيون لايزالون يحاولون أن يأمنوا جانب عربان القبائل في البحيرة من الهنادى والجميعات وأولاد على ، ولذلك واصلوا مفاوضات الصلح معهم على فترات متقطعة استمرت منذ ما بعد معركة سنهور خلال فترة قيادة الجنرال كليبر حتى يتمكنوا من فرض سيطرتهم على كامل إقليم البحيرة (٢٣٩) خاصة وأن مراد بك كان لايزال يحاول الإتصال بعربان البحيرة لكي يتعاونوا معه على مقاومة الفرنسيين وطردهم من البلاد (٢٤٠) رغم أنه قام بتوقيع معاهدة سلام يوم ٥ أبريل ١٨٠٠م مع الجنرال كليبر قبل مقتله .

ومن تلك المحاولات التى بذلها الفرنسيون لوقف هجمات العربان على تجمعاتهم و تمركزاتهم في أنحاء الإقليم ، قيام فرقة المهندسيين العسكرية الفرنسية ببناء الأبراج

الثابتة لمراقبة تحركات العربان وهجماتهم المتتالية القادمة من صحراء البحيرة الغربية على تخوم الأراضي الزراعية القريبة من مجرى قناة الإسكندرية من الرحمانية وحتى الإسكندرية حيث أمر القائد العام منو ببناء برج مسلح مزود بأحد المدافع في منطقة البيضا (٢٤١) ، وآخر في بركة غيطاس (٢٤٢) ، وإنشاء صهريج للمياه ومخزن للمؤن الغذائية وعدة مخازن للبارود في هذه النواحي(٢٤٣) . كما أصدر أمره إلى الجنرال ديليجورج G.Délégorgue أن يبقى على رأس قواته بقرية البركة للتضييق على العربان وعدم السماح لهم بدخول المناطق الزراعية ومحاولة التفاوض معهم إذا أمكن ذلك (٢٤٤) . كما أنشأت الإدارة الفرنسية برجاً حربياً في دمنهور يستوعب نحو مائة وخمسون جندياً وبصحبتهم ستة مدافع لتأمين المدينة وضواحيها من غارات العربان أو دخولها رغم أنهم كانوا يزاولون التجارة مع أهل المدينة وغيرها من بلدان الإقليم ولهم علاقات متاجرة ومصاهرة معهم (٢٤٥) ، خاصة وأن الكثير من فروع القبائل العربية قد بدأت في الإستقرار الجزئى في أنحاء الإقليم وبخاصة في المناطق الزراعية منه القريبة من خليج الإسكندرية وفرع نهر النيل الغربي .

ويبدو أن سياسة الفرنسيين في التضييق على تحركات عربان الإقليم أتت ثمارها مع بعضهم فقد وافقت قبيلة الهنادىعلى عقد هدنه مع الفرنسيين الذين وضعوا شروطاً قاسية على القبيلة في هذه المعاهدة ، ووجد الفرنسيون أنه لتاكيد حسن نوايا الهنادى أن يحتجزوا لديهم بعض الرهائن من أفراد تلك القبيلة (٢٤٦) .

وكان حرص القائد العام منو شديداً على استقطاب مشايخ الهنادى بهدف التعاون بين الجانبين وإقامة نوع من السلام بينهما يوثق في نص معاهدة دائمة رغم محاولات الإنجليز والأتراك من خارج البلاد للحيلولة دون إقامة هذا التعاون الذي أخذ شكل تقديم عربان الهنادى لبعض المساعدات العينية من المواد الغذائية و الجمال نظير مقابل مادى يدفعه الفرنسيون(٢٤٧) ، خاصة وأن إقليم البحيرة ظل مصدراً للقلاقل في مواجهة الحكم الفرنسي طوال فترة الإحتلال فبعدما زال خطر المهدى وتنفس الفرنسيون الصعداء ، بدأوا يواجهون خطراً آخر ممثلاً في أحد المناوئين لوجودهم ويدعى الشيخ سليمان

محمد ، وفى نفس البلدة التي شهدت أحداث ثورة المهدى وهى" سنهور" ، ولكن الجنرال ديليجورج تمكن من القبض عليه ومصادرة ممتلكاته المتعددة بالإقليم ، كما أمر القائد العام منو بإعدامه في أحد ساحات مدينة دمنهور حتى يكون عبرةً لغيره ممن تسول لهم نفسهم الخروج على طاعة الإدارة الفرنسية (٢٤٨) .

ولذلك وبعد أن تمكن منو من القضاء على شيخ سنهور ؛ آثر إقامة تحالف قوى مع أحد القوى المؤثرة في البحيرة و هم قبائل الهنادى المغربية حتى تكون عضداً له مثلما فعل كليبر مع مراد بك في الصعيد ، وكانت هذه القبيلة لها أفرع متعددة في غرب البحيرة وتخومها الصحراوية ، وتنتشر حول خليج الإسكندرية وعلى ضفاف فرع نهر النيل الغربي وبخاصةً في الرحمانية (٢٤٩) . ولذلك نجح الجنرال منو في توقيع معاهدة" سلام " مع مشايخ هذه القبيلة وهما : الشيخ كوابرى أبوشرف الدين ، و الشيخ عمر أبو حبيب ، وذلك في يوم ٣١ ديسمبر ١٨٠٠، والتي حملت عنوان " معاهدة سلام بين منو و الهنادى " ونصت بنودها التسع على :

أولاً : تمنح الإدارة الفرنسية الأمان والحماية لشيوخ الهنادى وقبيلتهم في جميع أنحاء البلاد المصرية .

ثانياً : السماح لأفراد القبيلة بمزاولة التجارة والرعى لجمالهم و مواشيهم بحرية تامة داخل أراضي البحيرة .

ثالثاً : أن تسعى القبيلة لتوطيد أواصر التعايش السلمى مع الفرنسيين ؛ بعدم الإعتداء على أي فرد فرنسي .

رابعاً: تعترف القبيلة وتخضع خضوعاً تاماً لحكم القائد العام (منو) وممثليه من القادة الحاكمين للأقاليم المصرية المختلفة .

خامساً : أن تعتبر القبيلة أعداء فرنسا بمثابة أعداء لهم .

سادساً : أن يلتزم أفراد الهنادى أو من يوالونهم بعدم إهانة أى فرد فرنسي .

سابعاً : عدم إحداثهم (الهنادى) أى ضرر أو اعتداء على قرى الإقليم أو قاطنيه وما يمتلكونه من مواشى و غلال .

ثامناً: أن يتعهد الهنادى بمساعدة الفرنسيين عند الضرورة .

تاسعاً: في حالة مخالفة القبيلة لنصوص هذه المعاهدة فإن شيوخها يعرضان أنفسهم لعقاب الفرنسيين .

كما تضمنت المعاهدة قيام الشيخان الموقعان عليها بالمثول أمام كل من الجنرال فريان G.Friant ، و الجنرال ديليجورج للتوقيع عليها وتسليم ماليديهم من جمال يحتاج إليها الفرنسيين ، كما تعهد الشيخان باسمهما ونيابة عن قبيلتهما بالوفاء والإلتزام بما ورد فيها من نصوص،وألزما أنفسهما بذلك أمام الله ورسوله (صلى الله عليه وسلم)(٢٥٠).

ولنا أن نتسائل لماذا نحا شيخى قبيلة الهنادى هذا النحو في مصالحة الفرنسيين وإيثار السلامة تجاههم !!إذا يمكننا القول بأن توقيع مراد بك الذي كان يمثل أحد رموز المقاومة ضد الفرنسيين بما تحت إمرته من مماليك وعربان وأبناء الصعيد لمعاهدة سلام دائمة مع الفرنسيين وقائدهم العام كليبر قد فت في عضد مقاومة عربان الإقليم الذين وقفوا في ميدان المقاومة الوطنية بمفردهم دون مشاركة حكام البلاد وسادتها من زعماء المماليك ،إلى جانب أن الإنجليز والأتراك بعد هزيمة الحملة العثمانية على ساحل أبي قير في شهر أغسطس ١٨٠٠ لم يبدوا أي مظاهر ايجابية لطرد الفرنسيين من البلاد حتى هذه اللحظة ؛ أضف إلى ذلك نجاح الفرنسيين بعد طول عناء في القضاء على ثورة المهدى في الإقليم ؛ حينما تمكن القادة الفرنسيون من تجميع قواهم العسكرية الضاربة من الإسكندرية و رشيد و الوجه البحري وتوجيهها تحت قيادة بعض القادة المشهود لهم بالكفاءة العسكرية نحو البحيرة لمواجهة ثورةالمهدى ، وهو نفس التكتيك الحربي الذي قام به قائدهم الأعلى بونابرت حينما واجه الحملة العثمانية على شاطىء أبى قير وتمكن من هزيمتها يوم ٢٥ يوليو ١٧٩٩م .

لكل ذلك آثر شيوخ الهنادى مهادنة الفرنسيين وتوقيع معاهدة سلام معهم ومن خلال نصوصها نتعرف على روح هذه المعاهدة التي منحت كلا الطرفين العربي والفرنسى " هدنه " لإقرار السلام الذي لم يتم بينهما ، ورغم أن مادتها الأولى نصت

على منح الأمان والحماية لقبيلة الهنادى ، إلا أن هذا الأمان المتبادل لم يترسخ فيما بينهما نظراً لتطور الأحداث السياسية والعسكرية سريعاً على أرض الإقليم بعد التدخل الأنجلو- عثمانى المشترك بعد ذلك بعدة شهور ، ولهذا لم تفلح المعاهدة في مادتها الخامسة في اعتبار أعداء فرنسا هم أعداء للقبيلة لأن الدولة العثمانية وهى دولة الخلافة وصاحبة السيادة على البلاد كانت هي وبريطانيا المعنيتان في هذا النص .

أما بقية نصوص المعاهدة فلم تكن ذات جدوى أو نفع يذكر لكلا الطرفين كما نصت المواد الثانية والثالثة والرابعة والسادسة على السماح لأفراد القبيلة بمزاولة تجارتهم ونشاطهم الرعوى ، والتعايش بسلام مع الفرنسيين وعدم الاعتداء عليهم ، وخضوع الهنادى للحكم الفرنسي ، وعدم إهانة أي فرد فرنسي ، فكلها نصوص مرنة قابلة للنقض . كما أن المادة الثامنة التي نصت على تعهد الهنادى بمساعدة الفرنسيين عند الضرورة لم يتم تفعليها أثناء الشهور الأخيرة للوجود الفرنسي في مصر ، وخالفت القبيلة ما جاء في النص التاسع والأخير من المعاهدة ولم يتمكن الفرنسيون من عقاب مشايخها ؛ لأنهم كانوا أضعف من أن يحاكموا أو يعاقبوا عربان الإقليم في هذه الفترة الحرجة من وجودهم في البلاد .

على أنه من الملاحظ ومنذ أوائل عام ١٨٠١ ونتيجة لتصالح الهنادى المؤقت مع الفرنسيين فقد نحت بعض القبائل الأخرى هذا النحو ؛ نظراً لمكانة ونفوذ هذه القبيلة ، إذ عقد شيخ قبيلة الجميعات – عبد القوى الباقورى ، مصالحة مع الجنرال منو ، واقتفت أثره قبيلتى الطرواتى،والبالجوشى(٢٥١) .

أما بقية القبائل العربية فلم تأبه بالفرنسيين ولم تعقد معهم أي اتفاق للصلح وظل أفرادها يقومون بعمليات خاطفة ضد الفرنسيين والاحتماء بالصحراء الغربية ظهير الإقليم الشاسع (٢٥٢) ، وعلى رأس هؤلاء قبائل أولاد على وهم أخطر العربان على الوجود الفرنسي بمصر(٢٥٣) ، والذين كانوا يحملون فرمانات السلطان العثماني لسكان القرى الواقعة على طول فرع نهر النيل الغربي لتحريضهم على الثورة ضد الفرنسيين ، كما حملوا هذه الفرمانات لإعلانها لأهالي صعيد مصر (٢٥٤) . ولذلك رأت

القيادة العامة الفرنسية ضرورة التفاهم مع قبائل البحيرة وتحقيق المصالحة معهم خشية بأسهم لما كانوا يتمتعون به من قوة بشرية محاربة مؤثرة ضد الوجود الفرنسي في البلاد خاصة وأنهم كانوا يمتلكون القدرة على المناوشات والإغارة السريعة على التجمعات الفرنسية بحكم تقاليدهم القتالية ومقدرتهم على الفرار والاختفاء في الصحراء الغربية المترامية الأطراف وعلى أية حال فإن قادة الحملة الفرنسية طوال وجودهم في مصر حاولوا وقف إغارات العربان نهائياً ولم يفلحوا في ذلك ، كما حاولوا إضعاف هذه الإغارات ، والحد من نفوذهم وسطوتهم (٢٥٥) من خلال محاولات التصالح معهم برغم أنها كانت محاولات مؤقتة لم تؤت ثمارها، كما سيتضح فيما بعد .

ثامناً : الحروب الأخيرة للفرنسيين وموقف عربان البحيرة (مارس – سبتمبر ١٨٠١م)

على الرغم من أن القائد العام الجنرال منو كان على علم بخطط الإنجليز المقبلة وعزمهم على النزول على شواطىء مصر الشمالية تمهيداً لغزوها ومنازلة الفرنسيين لإخراجهم من البلاد ؛ إلا أنه لم يحتاط للأمر ويتخذ الإجراءات التي تكفل مواجهتهم . وسرعان ما أتم الانجليز إنزال قواتهم على شواطىء الإسكندرية في ٨ مارس ١٨٠١م ، وتمكنوا من هزيمة قائدها الجنرال فريان، ولم يغادر القائد العام القاهرة إلا بعد الحاح من قواده بضرورة التحرك بقواتهم نحو الشمال لصد جيوش أعدائهم كما فعل من قبل الجنرال بونابرت إزاء الأتراك العثمانيين في موقعة أبى قير البرية يوم ٢٥ يوليو ١٧٩٩ ، ونتيجة لهذا التأخير أتاح منو لأعدائه توطيد مراكزهم في منطقة أبى قير تحت قيادة الجنرال أبركرومبى Abercromby الذي تمكن بقواته من هزيمة الفرنسيين في معركة نيكوبوليس Nicopolis في١٣مارس ١٨٠١بشرق الإسكندرية(٢٥٦) .

وكان من نتيجة إنتصار الانجليز في نيكوبوليس (٢٥٧) أن ازداد العداء والنفور تجاه الفرنسيين وعدم التعامل معهم ؛ فقام عربان قبائل الهنادى وأولاد على وغيرهم من قبائل البحيرة المحيطون بالإسكندرية منهم بالاتصال بالانجليز ومكاتبتهم للتنسيق فيما بينهم للتخلص من الفرنسيين (٢٥٨) ، وبعد أن كان بعض عربان الهنادى يتولون نقل الميرة إلى المواقع الفرنسية بدءاً من شهر مارس طبقاً للمعاهدة الموقعة فيما بين الطرفين في نهاية ديسمبر ١٨٠٠م ، ولكن الهنادى استجابوا بسرعة إلى نداء حسين قبطان باشا – قائد الأسطول العثماني بضرورة مقاطعة الفرنسيين وبعد ما أرسل إليهم أحد قواده وهو أحمد بك حسن مهدداً أياهم حال تعاونهم مع العدو المشترك لهما (٢٥٩) .

ولم يتوان عربان الهنادى في تعضيد موقف إخوانهم من عربان قبائل البحيرة الذين رفضوا معاونة الفرنسيين وإمدادهم بالمؤن والأغذية التي تواردت على الإنجليز والأتراك ، فأحجم الهنادى عن التعاون مع القيادة الفرنسية مما أدى إلى شح الأقوات

بالإسكندرية فاضطر الجنرال منو إلى طرد من لا يعملون بالإسكندرية إلى خارجها نحو إقليم البحيرة (٢٦٠) . وحاول منو الاعتماد على فرقة الهجانة الفرنسية لتجوب البحيرة محاولاً اجتذاب بعض عربانها لاستخدامهم في نقل مراسلاته مع قواته المحاصرة بالقاهرة (٢٦١) وتأزم الموقف الفرنسي بعدما قام الإنجليز بإرسال فرقة من قواتهم تتكون من ألف رجل وقطعتين من المدافع لقطع الطريق على الفرنسيين إلى داخل البلاد وتأمين طريق الإمدادات فيما بين قبائل البحيرة والقوات الإنجليزية عبر قناة الإسكندرية (٢٦٢) .

ويبدو أن موقف العربان كان متأرجحاً في تعاملهم ما بين الإنجليز والأتراك تارة وبين أعدائهم الفرنسيين تارة أخرى وفقاً لمصالحهم والفوائد التي سيحصلون عليها وإن كانوا قد قلبوا ظهر المجن للفرنسيين بما لقوه على أيديهم من قسوة وظلم ، فيقول أحد المؤرخين الإنجليز إن نحو مائتى أعرابى من قبائل البحيرة امتطوا ظهور خيولهم عابرين منخفض بحيرة مريوط الجاف قاصدين الإسكندرية وهم يصيحون فرحاً لهزيمة الفرنسيين في معركة ٢١ مارس على يد الإنجليز(٢٦٣) ، الذين توالت انتصاراتهم في شرق الإسكندرية وأكدوا تفوقهم بانتصاراتهم في معركة كانوب التي قتل فيها قائدهم السير رالف أبركرومبى Sir Ralph Abercromby وخسر الفرنسيون فيها نحو ثلث قواتهم المتواجدة بالإسكندرية (٢٦٤) ، وواصلوا تقدمهم نحو المدينة بعد وصول قوات الصدر الأعظم Le grand vizir من بلاد الشام يعززه الأسطول العثماني بقيادة حسين قبطان باشا إلى أبى قير في ٢٥ مارس ١٨٠١ وعلى متنه ما يقرب من ستة آلاف مقاتل(٢٦٥) ، وأصبح القبطان باشا على اتصال دائم بأهل البحيرة في ادكو Etko والمناطق الواقعة بين أبى قير ورشيد ، فأمد أهلها الأتراك بالطعام تعاوناً منهم ولمساندة الإنجليز على طرد الفرنسيين ، ولذلك فقد أرسل الجنرال لانوس من الإسكندرية يطلب من الجنرال ديستان قائد الرحمانية أن يرسل اليه فصيلة من الفرسان لمنع اتصال أهل البحيرة وعربانها في الشمال بالأتراك من خلال الدوريات الليلية المستمرة على سواحل الإقليم الشمالية (٢٦٦) .

وإزاء هذه المساعدات التي قدمها أهل البحيرة وعربانها للإنجليز وحلفائهم الأتراك؛ فقد تمكن الإنجليز من التقدم بسهولة صوب القاهرة عبر الإقليم براً ، وعبر رشيد نهراً يساندهم الأسطول العثماني في الوقت الذي ظل فيه القائد العام منو ومعه جزء كبير من قواته محصوراً بداخل الإسكندرية (٢٦٧) .

واستطاع الحلفاء بعد سقوط مدينة رشيد في أيديهم امتلاك قلعة الرحمانية الفرنسية وحاميتها بعد معركة غير متكافئة مع جنودها في يوم ٩ مايو ١٨٠١م؛ مما دعا قائدها لاكروا Lacroix إلى طلب الإغاثة والاستنجاد بقائده العام منو بالإسكندرية (٢٦٨) ، والذى بدأ يشعر بالخطر المحدق به من كل جانب فأصدر عدة أوامر على وجه السرعة للعديد من قواده للتوجه نحو الرحمانية – أهم معقل للفرنسيين في الوجه البحري وحلقة الاتصال ما بين الإسكندرية والقاهرة بهدف إنجادها . كما أرسل فصيلة من السواري لاستطلاع الموقف بإقليم البحيرة وحتى القاهرة إلا أن الإنجليز وعربان الإقليم هاجموا الفصيلة قرب الطرانة فخسرت كثيراً من رجالها وأجبرت على الإنسحاب مرة أخرى إلى الإسكندرية وتمكن الحلفاء من السيطرة على الطريق المؤدى إلى القاهرة بعد سقوط الرحمانية وأصبحت بذلك نصف قوات الحملة محاصرة بالإسكندرية (٢٦٩) .

ومنذ منتصف شهر مايو ١٨٠١ انقطعت الأخبار والإتصالات بين الجنرال بليار Belliard قائد منطقة القاهرة ، والقائد العام منو بالإسكندرية، وبين الرحمانية بعدما إنسحب قائدها الجنرال لاجرانج Lagrange تاركاً قلعتها متجهاً صوب القاهرة لينضم إلى بليار الذي قرر توقيع اتفاقية الجلاء عن القاهرة والجيزة مع الإنجليز في ٢٧ يونيو ١٨٠١ دون علم أو استشارة قائده الأعلى منو تاركاً إياه محاصراً بقواته داخل الإسكندرية (٢٧٠) .

وفى هذه الأثناء وبناءً على أوامر منو توجه الجنرال ديليجورج على رأس قوة لنجدة الرحمانية ولكنه حينماعلى علم بسقوطها في أيدي الإنجليز عند بلوغة بلدة بركة غطاس عاد أدراجه مرة أخرى ليتحصن بالإسكندرية مع قائده الأعلى ، وفى نفس الوقت أرسل القائد البريطانى الميجور جنرال كوت Major general coote أحد

قواده وهو الكولونيل كاميرون C.Cameron ومعه مائتى فرد من المشاه وخمسون فارساً لارتياد مجرى قناة الاسكندرية وتأمينه من الرحمانية وحتى بلدة البيضا شمال الكريون (كفر الدوار) بهدف ضمان استمرار إمداد عربان البحيرة للقوات البريطانية بما يلزمها من الأقوات والمؤن ومنع محاولات الفرنسيين للإتصال بهم (٢٧١) ؛ بعدما ساءت أحوال الجيش الفرنسي إثر قيام الإنجليز بقطع جسر قناة الاسكندرية منذ يوم ١٢أبريل ١٨٠١م وإغراق منخفض بحيرة مريوط الجاف بالمياه فباتت جيوش الفرنسيين الثلاثة بالإسكندرية والرحمانية والقاهرة محاصرة ومنعزلة عن بعضها تماماً ولا تستطيع الاتصال فيما بينها (٢٧٢) ، إذ حاول القائد العام الفرنسي منو إثناء عربان الهنادى عن عزوفهم عن التعاون مع الفرنسيين متضامنين مع إخوانهم عربان البحيرة من القبائل الأخرى ، طالباً منهم تطبيق نصوص المعاهدة التي وقعها معهم فيما يختص بمساعدة الفرنسيين بإمدادهم بالمؤن والغذاء الذين هم في أشد الحاجة إليها لضيق الحصار المفروض عليهم وبعد أن أصبحت المناطق المحيطة بالثغر السكندري لجة من المياه ، ولكن القبطان حسين باشا – قائد الأسطول التركى والذى كان قد أنزل بعض قواربه الخفيفة في مياه بحيرة مريوط أرسل لعربان الهنادى قوة كبيرة لتحذيرهم من مغبة إمداد الفرنسيين بالمؤن (٢٧٣) ، وقد كان الهنادى مترددين بين الإحجام عن مساندة الفرنسيين وإمدادهم بالأغذية وفاء بعهدهم وميثاقهم مع الجنرال منو ، وبين الوقوف في صف بنى جلدتهم وإخوانهم في الوطن ، ومع اشتداد الحصار على القوات الفرنسية بالإسكندرية لم يكن لهم حليف يساندهم سوى الهنادى الذين لم يتمكنوا من إمداداهم بما يلزمهم من الأقوات نتيجة يقظة حصار القوات المتحالفة ، وإزاء ذلك أصدر منو أوامره إلى قواده لنشر بعض من قواتهم بإقليم البحيرة لتهديد أهل القرى القريبة من الإسكندرية وتحذيرهم من مغبة عدم مساندة الفرنسيين ، وتزويدهم للانجليز والأتراك بالمؤن ، وكان من جراء ذلك سقوط العديد من العربان صرعى أمام محاولاتهم حمل المؤن للحلفاء ، وانكشفت نوايا منو تجاه من يحاول مساندة أعدائه (٢٧٤) بعدما بدأ عربان الإقليم والمحيطون منهم بالإسكندرية يفدون إلى القوات الإنجليزية من الداخل ومعهم

الامدادات الوفيرة من المؤن والخيول رغم المراقبة الشديدة التي فرضتها القوات الفرنسية على طريق قناة الإسكندرية بين ميسرة الإنجليز وقرية البيضا (٢٧٥) حيث كان الإنجليز يشترون حاجتهم من المؤن والأغذية المتمثلة في الحبوب والمواشى من عربان الإقليم (٢٧٦) والذين كانوا يحملونها عبر بحيرة مريوط حيث تنقل هذه الإمدادات الزوارق الحربية الإنجليزية التي بلغ عددها نحو ثلاثة وثلاثون زورقاً مسلحاً تجوب أرجاء البحيرة المستحدثة (٢٧٧) للاتصال بأهل شمال البحيرة .

أما عربان الرحمانية من الجهمة ، والهنادى ، والجميعات ، والفراتيس وغيرهم فلم يبدوا أي مساعدة للفرنسيين أثناء حروبهم مع الحلفاء الانجليز والأتراك حتى سقطت حاميتها في أيديهم ، وتوجهوا صوب القاهرة وأسقطوا حاميتها هي الأخرى . (٢٧٨) .

واشتد الضيق بالفرنسيين المحاصرين داخل الإسكندرية فأصدر منو أوامره إلى جميع قواده بالإسكندرية لبذل أقصى الجهد بمنع قرى البحيرة وعربانها المتواجدين على ضفتي قناة الإسكندرية من تزويد الإنجليز بالمؤن مهدداً سكان القرى بأن من يحاول منهم إمداد أعداء الفرنسيين ولو بشاه واحدة فسوف يهدم منزله على الفور(٢٧٩) ، ولكن القائد العام الفرنسي لم يكن بمقدوره تنفيذ هذه الأوامر بعد اشتداد حصار الحلفاء على مخارج الإسكندرية ، فازدادت أحوال الفرنسيين سوءاً يوماً بعد يوم خلال شهور الحصار المعدودة ؛ في نفس الوقت الذي استمر فيه إمداد العربان والقرى المتناثرة بالبحيرة على مشارف القناة للإنجليز والأتراك بالمؤن والأغذية باستمرار والمتمثلة في الدجاج ، والخراف ، والسمك ، والبورى الطازج ، وأنواع من الفاكهة المختلفة من البرتقال ، والعنب ، والمشمش ، والبطيخ نكاية في الفرنسيين وزهداً في التعامل معهم(٢٨٠) ، مما اضطر الجنرال منو إلى إصدار أمره بجمع كل الجمال التي تمتلكها قوات الجيش ؛ وتلك التي يمتلكها الأهالي بالإسكندرية وضواحيها باقليم البحيرة فبلغ عددها نحو ستمائة جمل لتنضم إلى فرق الحراسة والهجانة والفرسان بالجيش ، ولكى تخرج الهجانة الفرنسية تحت قيادة الجنرال كفالييهG.Cavallier صوب البحيرة لجمع

المؤن والأغذية من القرى القريبة والعربان المقيمين إلى جوارها عنوة ، وكانت تلك الوسيلة هي السبيل الوحيد لتموين القوات الفرنسية (٢٨١) .

وبلغ عدد القوة التي رافقت كفالييه ٤٤٥ فرداً وبرفقتها مدفع واحد ، ولكنه فشل في مهمته طوال رحلته الشاقة داخل البحيرة ولم يتمكن من الحصول على غايته والتزود بالمؤن والأغذية لتعرضه لهجمات عربان الإقليم الذين ظلوا يتعقبونه ويطلقون على قواته النيران من كل جانب ويشتبكون أحياناً معه حتى بلغ مشارف نهر النيل عند الرحمانية ، وسرعان ما وجد نفسه وجهاً لوجه أمام قوات الجنرال البريطاني دويل G.Doyle عند محاولته العودة للإسكندرية ، فاضطر للهرب نحو الصحراء تجاه الغرب تحت ضغط مطاردة الإنجليز والعربان ، ولما أنهكه التعب اضطر إلى الاستسلام بقواته عند قرية كوم شريك يوم ١٧ مايو ١٨٠١م (٢٨٢) .

وأصبحت القوات الفرنسية في الإسكندرية ، والرحمانية ، والقاهرة شبه جزر منفصلة عن بعضها لا رابط أو اتصال فيما بينها خاصة وأن قلعة الرحمانية سيطر عليها الانجليز بما فيها من قوات وعتاد ، وكذلك القاهرة والجيزة بعد استسلام بليار للإنجليز ، أما حامية الإسكندرية فقد حرمت من استخدام الطريق النيلى سواء عن طريق قناة الإسكندرية أو فرع رشيد ، وأصبح من المتعذر وصول تموينات الدلتا إليها ، ولايمكن أن تأتيها المؤن الضرورية إلا عن طريق برج العرب بعد الالتفاف حول بحيرة مريوط – حديثة التكوين بعد أن أغرقها الإنجليز بمياه قناة الإسكندرية(٢٨٣) ، وبالتالى نشطت مقاومة عربان البحيرة المتاخمين لأطراف الإسكندرية الجنوبية وهجماتهم على الفرنسيين الذين يحاولون الخروج من المدينة للحصول على بعض الميرة من قرى البحيرة دون جدوى ، بعد أن حاصر الإنجليز المدينة من جهة الغرب منذ بداية شهر أغسطس ١٨٠١م ، ولم يعد هناك أي منفذ لدخول الإسكندرية براً إلا عن طريق الشرق ، وهو ما سيطر عليه الانجليز ، أو عن طريق الغرب بالالتفاف حول بحيرة مريوط من خلال برج العرب الذي أصبح الطريق الوحيد الذي تصل منه بعض الامدادات الواردة إلى الفرنسيين يحملها بعض العربان

الموالين لهم وبعيداًعن رقابة الانجليز بعد أن دام حصارهم للمدينة نحو ستة أشهر(٢٨٤) . وقد وجد بعض العربان في حصار الإسكندرية الذي طال أمده من جانب الإنجليز وحلفائهم فرصة ثمينة للحصول على مبالغ ضخمة من الفرنسيين بإمدادهم بالمؤن خفية وتسليمها إليهم خارج حدود المدينة المحاصرة وعلى لسان الأرض الواصل إلى العجمي (مرابط) غرباً والمحصور بين بحيرة مريوط والبحر المتوسط ، أو توصيلها إلى ميناء رسو السفن المستحدث والذى أنشأه الفرنسيون على ربوة عالية أشبه بجزيرة مرتفعة وسط بحيرة مريوط لإتمام اتصالاتهم مع هؤلاء العربان (٢٨٥) . والذين كانوا يبيعون للفرنسيين كل يوم ثلاثة عشر ألف جراية (٢٨٦) ، واستطاعوا بذلك أن يكسبوا أموالاً كثيرة من الفرنسيين ؛ ومن سكان المدينة نفسها أثناء شهور الحصار الستة ، وقد بلغت مكاسبهم طبقاً لما أوردته المصادر الفرنسية نحو مليونى قطعة ذهبية من عملة سكين Sequin (٢٨٧) .

ونظراً لشح الاقوات المقدمة لحامية المدينة الفرنسية فقد تعرض العربان لهجمات الجند الفرنسيين عليهم واختطاف ما يحملونه من أقوات وسلبهم إياها ، فتقدموا بشكاواهم إلى القيادة الفرنسية حيث أمر الجنرال منو بالقضاء على هذه العمليات التي ستضر بمصالح الجيش الفرنسي وعلاقته بهؤلاء العربان مصدره الوحيد آنذاك لتوريد الأغذية لقواته(٢٨٨) .

وفى المقابل فإن بعض عربان البحيرة المقيمين بشرق الإسكندرية هاجموا الفرنسيين الذين جمعوا كميات كبيرة من المؤن والأغذية بصعوبة بالغة من شمال البحيرة عبر بحيرة المعدية (أبى قير) في المنطقة الواقعة ما بين شرق الثغر وادكو(٢٨٩) ، ولم تتوقف عمليات المقاومة المستترة والمعلنة من جانب عربان البحيرة ضد الفرنسيين ؛ إذ تطالعنا الوثائق الفرنسية وفى أثناء شهور الحصار والأحوال بلغت من السوء مداه لدرجة أن الجنود الفرنسيين لم يجدوا فتات الخبز ليأكلوه وشربوا الماء الزعاف – أن الجنرال فريان قائد المنطقة ألقى القبض على أحد السكندريين ويدعى سليمان فيزو متهما إياه بتحريض الأهالي على مقاومة الفرنسيين ، ومساندته للأتراك

وعربان البحيرة بشراء الأسلحة لهم وتهريبها لإقليم البحيرة لاستخدامها ضد القوات الفرنسية ، كما شملت قائمة اتهامه تحريضه على عدم التعاون مع الفرنسيين ومنع إمدادهم بالمؤن ، ونتيجة لذلك حكم عليه بالإعدام رمياً بالرصاص علناً أمام أهل الإسكندرية (٢٩٠) مما يدل على ملامح التعاون الجدى بين أهل الثغر وأبناء البحيرة من عربان وفلاحين لمقاومة عدو خارجي غزا أرض بلادهم وكيف لا ؟ وقد بلغت مظاهر التلاحم العربي الإسلامي مداها في تعاون عرب المغاربة مع إخوانهم عربان البحيرة في معركة سنهور ، وعرب دارفور وبلاد الحجاز في تلاحمهم مع أهل بني عدي في إقليم أسيوط لمقاومة القوات الفرنسية مما أجبرها في النهاية على الرحيل من البلاد المصرية دفعة تلو الأخرى واضطر القائد العام الجنرال مينو الذي اشتد عليه الحصار وقواته المنكسرة داخل الإسكندرية إلي الاستسلام والتوقيع على صك الخروج من مصر في أغسطس ١٨٠١م باعتباره مهزوماً أمام قوات التحالف الأنجلو – تركي . وبذلك تنطوي صفحة هامة من صفحات التاريخ المصري الحديث سطر خلالها أبناء مصر والعروبة سطورًا مضيئة ومشرقة من التعاون والتفاعل الخلاق الذي نحن في أشد الحاجة إلي تفعيله والتأكيد عليه في وقتنا الحاضر ، وهذا هو الهدف من هذه الدراسة التي أرجو أن أكون قد أصبت فيها جانباً من التوفيق .

المصادر والهوامش

(١) محافظ الحملة الفرنسية بدارا لوثائق القومية بالقاهرة , محفظة رقم ١٨ ، ملف رقم (١١) , دوسيه رقم (٢) :

Rapport sur provines de Rosette , d'Alexandrie et de Behira Par l'Ingenieur en chef le pére, directeur et le citoyen chabrol ingeneur des Ponts et chaussées , à18 Janvier1801. Déscription de L'Egypte ;T.XV III,2em ed . Paris, panckoucke, pp.6-8.

جراتيان لوبير (المدن والأقاليم المصرية – مدينة الإسكندرية) , كتاب وصف مصر , ج٣ , ترجمة زهير الشايب , القاهرة , مكتبة الخانجى , ١٩٧٨ , ص٣١٢ .

(٢) محمد محمود زيتون : إقليم البحيرة , القاهرة , دار المعارف , ١٩٦٢ , ص ص ١٣٥, ٢٨٥, ٢٩٤, ٣١٩.

(٣) عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب القديمة والحديثة , ج٢ , دمشق , المطبعة الهاشمية , ١٩٤٩ , ص٥٤٨ .

وقيل أنهم ينتمون إلى امراة تسمى سعدى من زناته وتزوجت من أبو الليل زعيم سليم : أحمد لطفي السيد : قبائل العرب في مصر ، القاهرة ، ١٩٣٥، ص٢١ .

(٤) سميرة فهمى على عمر : دور عربان الوجه البحري في تاريخ مصر العثمانية ١٥١٧-١٧٩٨م ,رسالة دكتوراة غير منشورة , قسم التاريخ , كلية الآداب – جامعة الإسكندرية , ١٩٨٩ , ص٥٢ .

وانظر : عبد الله خطاب عبد العظيم هبالة : دور البحيرة في عهد الحملة الفرنسية (١٢١٣-١٢١٦هـ / ١٧٩٨- ١٨٠١م) , رسالة ماجستير لم تنشر , كلية الآداب بدمنهور –جامعة الإسكندرية , ٢٠٠٢م .

(٥) أحمد لطفي السيد : قبائل العرب في مصر مرجع سابق, ص٢١.

أمينة السيد محمد النجار : إقليم البحيرة في العصر العثماني ١٧١٥- ١٧٩٨ , رسالة ماجستير لم تنشر– قسم التاريخ , كلية الآداب , جامعة الزقازيق , ١٩٩٥ , ص١٤٥.

(٦) أحمد لطفي السيد : مرجع سابق ، ص ص ٢١ ، ٣٣ .

ينحدر السلالمة من أبو الليل (السعادى) وينتمون إلى سليم بن منصور بن عكرمة بن قيس بن عيلان .

سميرة فهمى : مرجع سابق ، ص . ٥

(٧) سميرة فهمى : المرجع نفسه ، ص٤٧ .

سجلات محكمة الإسكندرية الشرعية ، سجل رقم (٤٨) ، وثيقة ٤٧٨ ، ص ٢٠٠ ، مؤرخة في ١٠ صفر الخير ١٠٥٧هـ .

(٨) Chabrol ; Essai Sur Les Moeurs des habitans Modérnes de L' Egypte (Déscription de L' Egypt,T.XVIII), Ier partie, paris, panckoucke,p.144.

وتنسب إليهم قرية كفر عوانة بمركز ايتاى البارود بمحافظة البحيرة حالياً .

(٩) محمد رفعت رمضان : على بك الكبير ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٥٠ ، ص٤٥ ، سميرة فهمى ، مرجع سابق ، ص٥١ .

(١٠) Chabrol ; op.cit, Déscription de L'Egypte, T.XV III,Ier part.,p.8.

وقد تفرق الهنادى بأنحاء إقليم البحيرة ، وينسب إليهم (الهنداوى) الذين يعيش الكثيرين منهم في مدينة الرحمانية حالياً .

(١١) د. ليلى عبد اللطيف : سياسة محمد على إزاء العربان في مصر ، القاهرة،١٩٨٦، ص١٣ .

(١٢) سميرة فهمى : مرجع سابق ، ص٥١ .

ولايزال عائلات الجبالى تعيش في مدينة الرحمانية وعدة مدن بالبحيرة .

(١٣) د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : المغاربة في مصر في العصر العثماني ، تونس ، ١٩٨٢، ص٣٣ ، سجلات محكمة البحيرة ، سجل (١٠) ، وثيقة ٢٤٥، ص١٣٩ ، ١٠ جماد أول ١١١٠هـ .

(١٤) محمد محمود زيتون : مرجع سابق ، ص ص ٢٩٠ -٢٩١ .

عبد السلام الحبونى : أنساب قبائل العرب ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ص ٦٠ -٦١ .

(١٥) ومن أولاد منصور قبيلة كاشيك بأبو المطامير : محمد محمود زيتون : مرجع سابق ، ص ٣٢٣ ، سميرة فهمى : مرجع سابق ، ص ٥٤ .

(١٦) عمر رضا كحالة : مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٨١٥ ، محمد محمود زيتون : مرجع سابق ، ص ص ٢٩١ ، ٣٢٣ .

(١٧) سميرة فهمى : مرجع سابق ٥٤ ، محمد محمود زيتون : مرجع سابق ، ص ص ٣٢٣ .

(١٨) محمد محمود زيتون : نفسه ، ص ٢٩١ .

(١٩) تقى الدين أبو العباس أحمد المقريزى : البيان والإعراب عما نزل بأرض مصر من الأعراب ، تحقيق عبد المجيد عابدين ، القاهرة ، عالم الكتب ، ١٩٦١ ، ص ١٦٧ .

على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ، ج ٧ ، القاهرة ١٣٠٦هـ / ١٨٨٨م ، ص ٣٣ .

(٢٠) دى شابرول : رحلة إلى غرب الدلتا (المدن والأقاليم المصرية) ، ج ٣، ترجمة زهير الشايب ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، ص ٦٠ .

(٢١) أحمد لطفي السيد:مرجع سابق ،ص ٢٠،عمر رضا كحالة ؛مرجع سابق ،ج ١ ، ص ٢٥٦.
ينتشر أولاد فايد في أنحاء متفرقة في البحيرة ومنهم عائلات فايد بمركز الرحمانية الآن .

(٢٢) محمد محمود زيتون : مرجع سابق ، ص ٢٩١، أحمد لطفي السيد : نفسه ، ص٢٠ .

(٢٣) سجلات محكمة الإسكندرية الشرعية ، سجل رقم (٤٣) وثيقة رقم ١٧٠، ص ٦٢ .

(٢٤) Chabrol;op .cit ,p.144.

وينتسب إليهم عائلة جويلى المقيمين حالياً بمراكز الرحمانية ، وإيتاى البارود ، وشبراخيت .

(٢٥) عبد الله خورشيد البرى : القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولى للهجرة ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٢، ص ١١٩ .

(٢٦) سجلات محكمة الإسكندرية الشرعية ، سجل رقم (٥٧) ، ص١٦ ، مادة ٤١ ، وثيقة مؤرخة في ١١ شوال ١٠٩٨هـ / ٢٠ أغسطس ١٦٨٦م ، عبد الله خطاب عبد العظيم هبالة : مرجع سابق ، ص ٢٥٠.

(٢٧) أحمد لطفي السيد : مرجع سابق ، ص١٩ .

(٢٨) على باشا مبارك : مرجع سابق ، ج٧ ، ص ٣٣ .

(٢٩) محمد محمود زيتون : مرجع سابق ، ص ص ٢٩٢ – ٢٩٣ ، سميرة فهمى : مرجع سابق ، ص ٤٨ .

(٣٠) Chabrol; op.cit , pp. 138 – 139 .

(٣١) د. على محمد بركات : تطور الملكية الزراعية في مصر (١٨١٣- ١٩١٤) ، وأثره على الحركة السياسية ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص ٢٦٨ .

د. إيمان محمد عبد المنعم عامر : العربان ودورهم في المجتمع المصري في النصف الأول من القرن التاسع عشر،القاهرة،الهيئة المصرية العامة للكتاب (سلسلة تاريخ المصريين ٩٧) ، ١٩٩٧، ص ٥٢ .

(٣٢) محمد محمود زيتون : مرجع سابق ، ص ٢٩١ .

(٣٣) سميرة فهمى : مرجع سابق ، ص ١٥١ .

(٣٤) عمر رضا كحالة : مرجع سابق ، ج٣ ، ص ١١٧٤ .

(٣٥) سجلات محكمة البحيرة الشرعية ، سجل رقم (١٠) ، وثيقة رقم ٢٤٥ ، ص ١٣٩ ، مؤرخة في ١٠ جماد أول ١١١٧هـ .

د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : الريف المصري في القرن الثامن عشر ،القاهرة ، ص ١٧٢ .

(٣٦) سجلات محكمة الإسكندرية الشرعية ، سجل رقم (٦٧) ، ص ١٠٦ ، مادة ١٥٤ ، وثيقة مؤرخة في ١٥ شعبان ١١٣٣هـ / ١١ يونيو ١٧٢١م .

(٣٧) سجلات محكمة البحيرة الشرعية ، سجل رقم (٩) ، ص ٢١٣، مادة ٤٤٥، وثيقة مؤرخة في ١٧صفر ١٢١٦هـ / ٢٩ يونيو ١٨٠١ ، سجلات محكمة الإسكندرية ، سجل ٩ ، وثيقة ٢٠٢٥ ، ص٩٧٥ ، ١٥ ربيع أول ١٠٧٤هـ .

(٣٨) المصدر نفسه ، سجل رقم (١٠) ، ص ١٣٩ ، مادة ٢٤٥ ، وثيقة مؤرخة في ١٠ جمادى الأولى ١٢١٧هـ / ٨ سبتمبر ١٨٠٢م .

(٣٩) محافظ الحملة الفرنسية ، محفظة رقم (٣) ملف رقم (٧) ، ملحق رقم (٢١) :

L 'Adjudant Boyer au général de brigade Délégorgue, à17octobre 1800 .

(٤٠) De La jonquière;L' Expédition d' Egypte, paris,1904 T.v, pp .299,355,474,689.

(٤١) يمكن الرجوع لسجلات متفرقات لمحكمتى البحيرة والإسكندرية الشرعية .

وغالبيتهم مقيمون حالياً بالرحمانية وضواحيها ، وفى إقليم مريوط ، والعامرية ، وغرب البحيرة .

(٤٢) د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : الريف المصري في القرن الثامن عشر ، مرجع سابق ، ص ص ١٥١ – ١٥٢ .

(٤٣) محفظة رقم (٣) ملف رقم (٧) ، وثيقة مؤرخة في١٧ / ١٠/١٨٠٠م ، تقرير من الجنرال ديلجورج

Le Géneral de Brigade Délégorge, à Rahmanie , le 5 brumaire an 9.

عمر رضا كحالة : مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٨١٥ .

(٤٤) عبد الرحمن الجبرتي : عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، تحقيق حسن جوهر ، وآخرون ، ج ٦ ، ص ٢٩٥ .

(٤٥) محمد محمود زيتون : مرجع سابق ، ص ص ٢٩٠ – ٢٩٣ .

سجلات محكمة الإسكندرية الشرعية ، سجل رقم (٤٨) ، وثيقة ٤٧٨ ، ص ٢٠٠ ، مؤرخة في ١٠ صفر الخير ١٠٥٧هـ .

(٤٦) سميرة فهمى : مرجع سابق ، ص ٤٦ .

(٤٧) عبد الله خورشيد البرى : مرجع سابق ، ص ٥٢ .

(٤٨) وصف مصر ، ج ٢ ، ترجمة زهير الشايب ، مرجع سابق ص ٦٨ .

(٤٩) د. ليلى عبد اللطيف أحمد : المجتمع المصري في العصر العثماني ، القاهرة ، دار الكتاب الجامعي ، ١٩٨٧ ، ص ٥٠ .

(٥٠) د.عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم:الريف المصري،مرجع سابق،ص ص ١٥٥، ١٦٠ .

(٥١) محكمة الإسكندرية الشرعية ، سجل ٧٥ فترته التاريخية من غرة شعبان ١١٤٨ – ٢٥ محرم ١١٥٠هـ . وثيقة ١٨٧ ، ص ٨٣ .

(٥٢) المصدر نفسه ، سجل ١٠٧، فترته التاريخية من غرة ربيع أول ١٢٠٨ – ١٧ شوال ١٢١١هـ . وثيقة ٣٢٩ ، ص٢٤١ .

(٥٣) وصف مصر ، ج ٢ ، ترجمة زهير الشايب ، مرجع سابق ص ص ٦٩ – ٧٠ .

(٥٤) سجلات محكمة البحيرة ، س٩ ، وثيقة ٦٢٥ ، ص ٣١٤ .

(٥٥) هاجموا قرى ناحية " شبراويس " أو " شبريس " من توابع شبراخيت .

(٥٦) وهاجموا ناحية الزعفراني وواقد من توابع كوم حمادة .

(٥٧) سجلات محكمة البحيرة ، سجل رقم (٢٧) ، وثيقة ٢٧٧ ص١٤٩، مؤرخة في ٢٨ شوال ١١٠٣هـ .

(٥٨) عبد الرحمن الجبرتي ، مصدر سابق ، ج١ أحداث ١٢٠٧هـ / ١٧٩٣م .

(٥٩) سجلات محكمة الإسكندرية الشرعية ، سجل رقم (٥١) ، وثيقة رقم ٨٥٢ ، ص ٣٩٨ .

(٦٠) هاملتون جب ، هارولد بوون : المجتمع الإسلامى والغرب ، ج ٢ ، ترجمة د. أحمد عبد الرحيم مصطفى ، مراجعة د. أحمد عزت عبد الكريم ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧١، ص ١٠٠ .

(٦١) وصف مصر ، ج ٢ ، ترجمة زهير الشايب ، مرجع سابق ، ص ٤٣ .
سميرة فهمى : مرجع سابق ، ص ص ١٥٥- ١٥٦ ، ١٦٥ .

(٦٢) سجلات محكمة الإسكندرية الشرعية ، سجل رقم (٤٠) ، وثيقة رقم ٨٠٢ ، صفحة ٢٨٥ ، مؤرخة في ١٨ محرم ١٠٣٧هـ .

(٦٣) سجلات محكمة البحيرة الشرعية ، سجل رقم (٩) ، صفحة ٢١٣، مادة ٤٤٥ ، وثيقة مؤرخة في ١٧ صفر ١٢١٦هـ / ٢٩ يونيو ١٨٠١م .
المصدر نفسه ، سجل رقم (١٠) ، وثيقة رقم ١٥٦ ، ص ٨٩ ، مؤرخة في ٣ ربيع الأول ١٢١٧هـ .

(٦٤) سجلات محكمة الإسكندرية الشرعية ، سجل رقم (٤٣) ، وثيقة رقم ١٧٠ ، صفحة ٦٢ ، مؤرخة في ١٦ شوال ١٠١٨هـ .
سجلات محكمة البحيرة الشرعية ، سجل رقم (١٠) ، وثيقة رقم ٣٥٧ ، صفحة ١٩٥ ، مؤرخة في ١٩ رمضان ١١١٧ه .

(٦٥) سميرة فهمى : مرجع سابق ، ص ص١٥٧- ١٦٣ .

(٦٦) سجلات الباب العالى ، سجل ٧٢ ، وثيقة رقم ١١٤٣ ، ص ٢٧١ ، وثيقة مؤرخة في ٢ربيع الأول ١٠٠٩هـ .

(٦٧) سميرة فهمى : مرجع سابق ، ص ص ١٥١ – ١٥٤ ، سجلات الباب العالى ، سجل ٨٦ ، وثيقة ٥١١ ، ص ٧٨ .

(٦٨) سجلات محكمة البحيرة الشرعية ، سجل رقم (١٠) ، وثيقة رقم ٢١٤ ، ص ١٢٤ .

(٦٩) عبد الله خطاب عبد العظيم هبالة : مرجع سابق ، ص ١٨٨ .

(٧٠) د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : مرجع سابق ، ص ٩٤ ، ٩٨ ، ص ١٠٦ .

(٧١) عبد الله خطاب عبد العظيم هبالة : مرجع سابق ، ص ١٥٩ .

(٧٢) سجلات محكمة الإسكندرية ، سجل رقم (٤٢) ، وثيقة رقم ٤٦٤ ، ص ١٣٥ .

(٧٣) سجلات محكمة البحيرة الشرعية ، سجل رقم (٩) ،وثيقة رقم ٥٦٦ ، ص ٢٧٨ ، مؤرخة في ٢٦ جماد أول ١٢١٦هـ .

(٧٤) أنظر سجلات محكمة الإسكندرية الشرعية ، سجل رقم (٨١) ، وثيقة رقم ٢٦٥ ، ص ٨٦ ،

(٧٥) سميرة فهمى : مرجع سابق ، ص ١٨٨ .

(٧٦) سجلات محكمة الإسكندرية الشرعية ، سجل رقم ٥٦ أرقام : ٧٢٧، ٨٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠ ، صفحات أرقام : ٢١٠، ٢١١ ، مؤرخة في ٢١ شوال ١٠٨٨هـ .

(٧٧) سميرة فهمى : مرجع سابق ، ص ص ١٧٩، ١٩٣ .

(٧٨) سجلات محكمة الإسكندرية الشرعية ، سجل رقم (١٠٣) ، وثيقة رقم ٩٧ ، ص ٥٣، مؤرخة في ٢٢ ذى القعدة ١٠٢٢هـ .

(٧٩) عبد الرحمن الجبرتي : عجائب الآثار ، ج٢ ، بولاق ص ص ١٨٣- ١٨٤ .

(٨٠) عبد الرحمن الرافعى : تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر ، ج٢ ، ط٢ ، القاهرة ، مطبعة النهضة ، ١٩٤٨ ، ص ص ٢٢٨- ٢٢٩ .

(٨١) ج. كريستوفر هيرولد : بونابرت في مصر ، ترجمة فؤاد أندراوس ، القاهرة ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، ١٩٦٧، ص ص ٨١ – ٨٢ .

(٨٢) عبد الرحمن الجبرتي : مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس ، ج١ ، محقق ، القاهرة ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ،١٩٦١ ،ص٤٨ .

سجلات محكمة البحيرة الشرعية ،سجل رقم (٤٣) ،ص٢٠ ،مادة ٤٠،وثيقة مؤرخة في ١٠ صفر ١٢١٢ هـ /٤أغسطس ١٧٩٧ ،ص٢٠٩ ،مادة ٢٠٩،وثيقة مؤرخة في ١٩ صفر ١٢١٣هـ /أول أغسطس ١٧٩٨م،وأنظر :عبدالله خطاب هبالة :مرجع سابق .

(٨٣) Paton , F.R.G ; A History of the Egyptian Revolution From the period Mamelukes to the death of Muhammed Ali , vol . I , London , 1883 , p. 159 .

(٨٤) Lacroix ,Désiré ; Bonaparte en Egypte 1798 – 1799, Paris,1899 ,p. 75 .

(٨٥) محمد عبد الحميد الحناوى : الإسكندرية في عهد الحملة الفرنسية ، رسالة ماجستير لم تنشر ، كلية الآداب – جامعة المنيا ، ١٩٨٥ ، ص ٢٢٤ .

(٨٦) عبد الرحمن الجبرتي : عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، القاهرة ، بولاق ، ١٢٩٧هـ ١٨٧٩ – ١٨٨٠م ، ج٣ ، ص٤ .

(٨٧) ج . كريستوفر هيرولد : مرجع سابق ، ص ص ٨٧ -٨٨ .

(٨٨) المرجع نفسه , ص ٨٨ .

(٨٩) محافظ الحملة الفرنسية المحفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة , محفظة رقم (٣١) فترتها التاريخية من ١٨٠١/٥/٢٨ إلى ١٨٠١/٦/١٩م , ملف رقم (١٦) Damas général de division chef de L' état – Major général de l' armée , au Quartir du Caire , à 12 Septembre 1799.

(٩٠) ج . كريستوفر هيرولد : مرجع سابق , ص ص ٨٨- ٨٩ .

(٩١) Paton ; op . cit , vol . I , p . 100 .

(٩٢) Dela jonquière:L'Expédition d 'Egypte,op.cit,T.II, P P . 54-55 .

(٩٣) الجبرتي : عجائب الآثار , بولاق , مصدر سابق , ج٣ , ص ٤ .

(٩٤) محمد محمد فهمى شتا : تاريخ مصر الحديث من القرن الثامن عشر إلى الوقت الحاضر , ج١ , أسيوط , ١٩٥٤ , ص ص ٣٠ – ٣١ .

(٩٥) ج . كريستوفر هيرولد : مرجع سابق , ص ٨٢ .

(٩٦) Reybaud , Histoire Sciéntifique et Militaire de L' Expédition FranÇaise en Egypte , Paris , 1836 , T . 3 , p p .123 –125

(٩٧) paton ; op . cit , vol . I, p . 103 .

(٩٨) De la jonquière ; L' Expédition , op .cit , vol . II , pp . 53 – 54 .

(٩٩) J Marcel :Egypte dépuis la conquête des Arabes jusqu' à la domination FranÇaise , paris , S.D, pp . 28 – 29 .

عبد الرحمن الجبرتي : عجائب الآثار , ج٣ , بولاق , ص ص ٤ – ٥ , مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس , ج١ , ص ص ٥٧ – ٦٠ .

(١٠٠) ج كريستوفر هيرولد : مرجع سابق ، ص ٩٦ .

جاء في النص الفرنسي : " إننا أصدقاء للمسلمين المخلصين "Que Nous Sommes amis des Vrais Mulmans " .

أنظر : د. عبد العزيز الشناوي ، د. جلال يحي : وثائق ونصوص التاريخ الحديث المعاصر، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٩ ، ص ص ٤٩٦ – ٤٩٩ .

(١٠١) paton, op.cit, vol. I,p. 112

(١٠٢) Corres pondance de Napoleon ,vol. IV,No.2710 .Déla jonquière : L ' Expédition d' Egypte , op . cit , T. II , pp . 23 – 25.

(١٠٣) Ibid ; pp . 25 – 26 .

(١٠٤) Ibid ; p. 26 .

(١٠٥) Reybaud;op.cit, T.3,p . 154 . ،ج. كريستوفر هيرولد:مرجع سابق ،ص ص ١٠٥-١٠٦

(١٠٦) ج . كريستوفر هيرولد : المرجع نفسه ، ص ١٠٥ .

(١٠٧) Denon,Vivant:Voyage dans la Basse et la Haute Egypte pendant les Campagnes Général Bonaparte , T.I , paris , 1829 , p . 46 .

(١٠٨) Dé la joquière: journal de L' Expédition d' Egypte , Paris ,1904, p .57.

(١٠٩) البيضا إحدى قرى مركز كفر الدوار حالياً .

(١١٠) بركة غطاس إحدى قرى مركز أبو حمص الآن .

(١١١) De la jonquière : L'Expédition , op .cit , T . II , PP . 113-115 .

(١١٢) Berthier , Louis : L' Egypte de 1798 à 1900 , Paris 1900 , p . 34 .

ج . كريستوفر هيرولد : مرجع سابق ، ص ص ١٠٦ – ١١١ .

(١١٣) ج. كريستوفر هيرولد : مرجع سابق ، ص١٢١ .

(١١٤) Lacrois Désiré : op . cit , p . 97

(١١٥) محمد محمود زيتون : مرجع سابق ، ص ص ٣٠٩-٣١٠ .

Reybaud : Histoire Sciéntifique, op. cit, T. III, P. 168

(١١٦) محمد محمود زيتون : مرجع سابق ، ص ٣٠٩ .

(١١٧) قرية قراقص جنوب مدينة دمنهور وهى إحدى أحياء المدينة حالياً .

(١١٨) ج . كريستوفر هيرولد : مرجع سابق ، ص١٢٢ .

(١١٩) محمد محمود زيتون : مرجع سابق ، ص٣١٠ ، وقرية شبرايس (شبريس) تابعة لمركز شبراخيت .

(١٢٠) ج . كريستوفر هيرولد : مرجع سابق ، ص١٢٣ .

(١٢١) De la jonquière;L'Expédition,T.V,op.cit ,p.365. Paton; op.cit ,vol.I,p.118.

(١٢٢) نقولا الترك:مذكرات نقولا ترك ،القاهرة،المعهد الفرنسي للاثار الشرقية،١٩٥٠،ص٨ ،

د.جـــلال يحيى : مصر الحديثة ، ج١ ، ١٥١٧ – ١٧٩٨ ، الاسـكندرية ، ١٩٨٢ ، ص٣٩٩ ، د. عبد الرحيم عبد الرحمن : الريف المصري ، مرجع سابق ، ص١٥٦ .

(١٢٣) De La jonquière : l' Expédition , op .cit , T.II , pp . 141 – 142 .

(١٢٤) Ibid ; pp . 141 – 145 .

(١٢٥) ج. كريستوفر هيرولد:مرجع سابق ، ص ص ١٢٣-١٢٥

Reybaud; op.cit,T. III, pp.178–179.

(١٢٦) عبد الـرحمن الجبرتـي:عجائـب الآثـار،ج٣،ص٧. ،مظهـر التقـديس بـزوال دولـة الفرنسيس،ج١ ، ص٣٥ .

(١٢٧) ج . كريستوفر هيرولد : مرجع سابق ، ص١٠٥ . Reybaud ;op.cit , T . III , P . 182

(١٢٨) ج. كريستوفر هيرولد : المرجع نفسه ، ص ص ١٢٧ – ١٢٨ .

(١٢٩) De la jonquiére ; L' Expédition,op . cit , T.II ,P . 165 .

Reybaud ; op cit , T . III , PP . 182 – 183 .

(١٣٠) عبد الرحمن الرافعي : مرجع سابق ، ج ١ ، ص ص ١٥٢ – ١٥٧، د. جـلال يحيـى : مصر الحديثة ، ج١ ، ص ٣٣٩ .

(١٣١) قرية نكلا العنب أحدى قرى مركز ايتاى البارود الآن وتقع إلى غرب فـرع نهـر النيـل الغربي .

(١٣٢) قرية النجيلة إحدى قرى مركز كوم حمادة الآن .

(١٣٣) الطرانة أحدى قرى مركز كوم حمادة وكانت مشهورة بتجارة نطرون البحيرة .

(١٣٤) De la jonquière: L'Expédition ,op .cit ,T.II, P.16,T.III,P. 170 . Denon,

(١٣٥) Denon,Vivant ; op . cit , T . I, P . 48.

محمد محمود زيتون : مرجع سابق ، ص ٣٧٧ .

(١٣٦) عبد الرحمن الجبرتي : عجائب الآثار بولاق ، ج٣ ، ص٩ ، مظهر التقديس، ج١،ص ٣٨.

(١٣٧) محمد محمود زيتون : مرجع سابق ، ص ص ٣٧٥ – ٣٧٦ ،عبـد الـرحمن الجبرتـي : عجائب الآثار ، ج٤ ، تحقيق حسن جوهر وآخرون ، ص ٢٩٤ .

(١٣٨) ج . كريستوفر هيرولد : مرجع سابق ، ص ٢٠٣ .

(١٣٩) محمود الشرقاوى : مصر في القرن الثامن عشر ، ج٣ ، ص ٤١ .

(١٤٠) De La jonquière : L' Expédition , op . cit , vol . 2, pp . 76 -78 .

(١٤١) Reybaud: op . cit , T . 3, pp . 158 - 159

(١٤٢) Paton : op . cit , vol . I,pp . 101-102 .

(١٤٣) De La jonquière : L' Expédition , op . cit , vol . 2 , pp . 209 – 219 .

(١٤٤) محفظة رقم (٧) ، ملف رقم (٣) ، B6 - 126

وثيقة بتاريخ ١٦ مارس ١٨٠١ م :

Au Quartier général de Damanhour pour Mettre à Paton , op . cit , vol . I , p . 11l' ordre du jour à 16

(١٤٥) ج . كريستوفر هيرولد : مرجع سابق ، ط١٩٩٨ ، ص٢٥٤ .

(١٤٦) عبد الرحمن الرافعى : مرجع سابق ، ج١ ، ص١٥٨.

(١٤٧) عبد الرحمن الرافعى : مرجع سابق ، ج١ ، ص ص ١٩٧- ١٩٨ .

هنرى لورانس : الحملة الفرنسية على مصر ، ترجمة بشير السباعى ، القاهرة ، سينا للنشر ، ١٩٩٨ ، ص ٣٠٣ .

(١٤٨) سلوى العطار: التغيرات الاجتماعية في مصر منذ الحملة الفرنسية حتى بناء الدولة الحديثة ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، قسم التاريخ ،كلية البنات ، جامعة عين شمس، ١٩٧٩، ص١٧١ .

(١٤٩) محفظة رقم (١٨) ملف رقم (١١) ، دوسيه رقم (٢)

Rappart sur les provinces de Rosette, de Alexandrie et de Behira par l' Ingenieur en chef le pere , directeur et le citoyen chabrol Ingenieur des ponts et chausses , à 18 janvier 1801.

(١٥٠) ج. كريستوفر هيرولد :مرجع سابق ص ص ١٩٣-١٩٤ .

(١٥١) De lajonquière:L'Expédition,op.cit,T.II,p.213.

(١٥٢) محمود الشرقاوى :مرجع سابق ،ج٣،ص ٤١.

(١٥٣) محمد الحناوى :مرجع سابق ، ص ٢٣٤.

(١٥٤) Shaw,stanford:the Financial and Administration organization and development of Ottoman Egypt 1715- 1798 ,Princeton ,1962,pp.60– 61 .

(١٥٥) Olivier.G.A, : Voyage dans L'Empire Ottoman Egypt et la perse , T.III , paris , an 12 , p . 61 .

(١٥٦) محفظة رقم (١٧) ملف رقم (٩) , دوسيه رقم (٢) , ملحق رقم (١٨)

Plainte fait au général en chef par les chieks de plusieurs villages contre les Arabes Qui devastant les pays , à 25 Octobre 1799.

(١٥٧) محفظة رقم (٣١) فترتها التاريخية من ١٨٠١/١/٣-١٨٠١/٩/٢م، ملف رقم (١٧)

Le Commissaire Ordonateur en chef Daure au Général de division Ménou à Alexandrie au Quartier général du Caire , à 5 Septembre 1799 .

(١٥٨) عبد الله خطاب هبالة : مرجع سابق , ص ١٦٨ .

(١٥٩) محفظة رقم (٢٩) ملف رقم (١٢) , وثيقة مؤرخة في ٨ يوليو ١٨٠٠م/ ٢٦ مسيدور من السنة الثامنة , رسالة من الجنرال بوابيه إلى القائد العام منو :

L' Adjudant général Boyer au général en chef Ménou, le 26 Messidor an 8 .

(١٦٠) DeLa jonquière : L' Expédition , op . cit , vol . 2 , pp . 79 –80 .

(١٦١) De La jonquiere,l'Expédition,op.cit T.II,p.224,Reybaud;op.cit,T.III, p.265

(١٦٢) Reyband : op . cit , T .3 , pp . 266 – 267 .

(١٦٣) Dela jonquière : L'Expédition , T . II , p . 224 .

(١٦٤) بركة غطاس إحدى قرى مركز أبو حمص حالياً وتقع إلى جوار ترعة (خليج) الإسكندرية .

(١٦٥) عبد الرحمن الرافعى : مرجع سابق , ج١ , ص١٤٥ .

Laurens , Henry : Kléber en Egypte 1798-1801 , vol . I, le Caire , 1995 , Institut FranÇaise d' Archéologie Orientale , p . 150 .

(١٦٦) عبد الرحمن الرافعى : مرجع سابق , ج١ , ص١٤٤ .

De la jonquière : L'Expédition , op .cit , T .II , P .224 .

(١٦٧) Charles Roux , FranÇois : Bonaparte Governeur d'Egypte , Paris , 1946 , p. 55 Laurens , Henry ; op . cit , T. V , P . 270 .

(١٦٨) د. جلال يحيى : مصر الحديثة , ص ص ٣٩٧ – ٣٩٨ .

(١٦٩) Reybaud , op . cit , T.3 ,pp .262-264 , 266 .

،عبد الرحمن الرافعى : مرجع سابق , ج ١ , ص٣٠٩ .

(١٧٠) المرجع نفسه , ص٣١٠ .

(١٧١) محفظة بدون رقم فترتها التاريخية من ١٦/ ١٠/١٧٩٩ إلـى ١٥/ ١١/ ١٧٩٩ , وثـائق أرقام ٩٥٩ , ٨٨٦ , بتاريخ ٦ برومير من السنة الثامنة / ٢٨ أكتوبر ١٧٩٩ , ٢ برومير من السنة الثامنة / ٢٤ أكتوبر ١٧٩٩ م /٢٤ أكتوبر ١٧٩٩م .

محفظة بدون رقم فترتها التاريخية من ٩ / ٦ / ١٧٩٩ إلى ١٦ / ١ / ١٨٠١م , وثيقة بدون رقم مؤرخة في ٤ برومير من السنة الثامنة .

(١٧٢) Reybaud ; op . cit , T . 3 , P . 269

عبد الرحمن الرافعي : مرجع سابق , ج١ , ص ١٨٩ .

(١٧٣) محفظة بدون رقم فترتها التاريخية من ١٨/١١/١٧٩٨ إلى ١٨/٤/١٨٠١م , وثيقة رقم ١٥١- B6 , ٨٢٧ .

(١٧٤) البوطاقة يساوي ٨٥ مديني ، والقرش يساوي ٤٠ مديني .

(١٧٥) محفظة بدون رقم فترتها التاريخية من ١٦/١٢/١٧٩٩الـى ٣١/١٢/١٧٩٩, وثيقة رقم (١٧٠٠) مؤرخة في ٢٨ فبراير من السنة الثامنة , محفظة بدون رقم فترتها التاريخية من ١٠/١٠/١٧٩٩الى ٥/٧/١٨٠٠م , وثيقة رقم (٢٣٦٥) , B6-148 مؤرخة في ٢٤ فريمير من السنة الثامنة .

(١٧٦) Paton ; op . cit , T . I , p . 155

(١٧٧) Saint–HiLaire, Etienne, Géoffroy:Lettres écrites d' Egypte,paris 1901,p.27

(١٧٨) De La jonquière : L'Expédition , op . cit , T . IV , P . 40 .

(١٧٩) عبد الرحمن الرافعي : تاريخ الحركة القومية , ج١ , ص ص ٢٥٥ – ٢٥٦ .

(١٨٠) تولى الجنـــرال مارمـــون G. Marmont قيـــــادة منطقـــــة الإسكنـــــدرية خلفـاً للجنـرال مـــانسكور G.Manscourt بأمر بونابرت الصادر في ٢٨ نوفمبر ١٧٩٨,وظل يشغل هذا المنصب إلى أن رحل مع بونابرت إلى فرنسا ليلة ٢٢ أغسطس١٧٩٩ .

De La jonquière : L'Expédition , op . cit , T . IV , P . 36 .

(١٨١) ج . كريستوفر هيرولد : مرجع سابق , ص ص ١٩٦ – ١٩٧ .

(١٨٢) هيلين آن ريفلين : الأقتصاد والإدارة في مصر في مستهل القرن التاسع عشر ,ترجمـــة د. أحمـــد عبـــد الـــرحيم مصـــطفى , مصـــطفى الحســـيني , القاهـــــرة , دار المعـــارف ، ١٩٦٨ ,ص٣١٣ .

(١٨٣) Déscription de L'Egypte , T.XII , p . 204

، محكمة الإسكندرية الشرعية , سجل رقم (٢٠) وثيقة رقم ٣٧٠ .

(١٨٤) القرش = ٤٠ مدينى Déscription de L'Egypte , T .XVIII , PP . 235 – 236.

(١٨٥) هيلين آن ريفلين : مرجع سابق , ص ٣١٤ .

د. محمد فؤاد شكرى : الحملة الفرنسية وخروج الفرنسيين من مصـــر , القـــاهرة ، دار الفكر العربي ، د. ت ، ص ص ٦٣٠ – ٦٣١ .

(١٨٦) محفظة بدون رقم فترتها التاريخية من ٢٣ /٨/ ١٧٩٩ إلى ٨/٨/ ١٨٠١م , وثيقـــة رقـــم ١٣٣٢ مؤرخة في ٢١ترميدور من السنة الثامنة 149 -B6 , وثيقة رقم ١٥٤٦ مؤرخة في ٧ فركتيدور من السنة الثامنة ، B6-149 . Courrier de L'Egypte , Nos. 13,14

(١٨٧) De la jonquière:L' Expédition ,T.III , pp . 103 – 104 .Laurens ; Op . cit ; Vol. I, pp . 321 -329 .

(١٨٨) علقام : إحدى قرى مركز كوم حمادة الحالية .

(١٨٩) ج . كريستوفر هيرولد , مرجع سابق , ص ١٦٥ .

(١٩٠) عبد الرحمن الرافعى : مرجع سابق , ج١ , ص ص ٢٥٢ – ٢٥٣ .

(١٩١) Courrier de L'Egypte , Nos . 3 , 13 .

(١٩٢) Ibid ; No . 12 , à 13 Octobre 1798 , 13 à 14 Octobre 1798 .

د. محمد فؤاد شكرى : الحملة الفرنسية وخروج الفرنسيين من مصر، مرجع سابق , ص ٦٣١ .

(١٩٣) د . عبد الغفار محمد حسين : بناء الدولة الحديثة في مصر , الجزء الأول , القـــاهرة , دار المعارف , ١٩٨٠ , ص ٧٣ .

(١٩٤) النجلية وكفر غرين من بلاد مركز كوم حمادة حالياً .

(١٩٥) عبد الرحمن الرافعى : مرجع سابق , ج١ , ص ٢٥٦.

(١٩٦) محمد جلال كشك : ودخلت الخيل الأزهر , القاهرة , دار المعارف , ١٩٧٨ , ص ١٩٩ .

(١٩٧) عبد الرحمن الجبرتي : عجائب الآثار ، تحقيق حسن جوهر وآخرون , ج٣ , ص ٩٥ .

نقولا الترك : مذكرات نقولا , ص ٣٣ .

(١٩٨) De La jonquière : L' Expédition , Op . cit , T.V p.65 , Char les , Roux , Bonaparte op.cit , p .296 .

(١٩٩) محمود الشرقاوى : مرجع سابق , ج٣ , ص ١٢٤ .

(٢٠٠) أحمد حافظ عوض : مرجع سابق , ص ٣٥٤ .

(١٠١) Reybaud ; Op . cit , T . V , p . 121 . Lacroix . Désiré : Op . cit , p . 351 .

(٢٠٢) Charles . Roux;Bonaparte,Op .cit ,p.295 .Dé La jonquière: L' T .V ,p.77

(٢٠٣) De scription de L' Egypte , T . XVIII , 2 em partie , p p . 35- 36 .

(٢٠٤) De la jonquière ;L'Expédition ,T.V ,p .74

(٢٠٥) Reybaud ; op .cit , t . v , p .123 .

(٢٠٦) Lacroix , Désiré ; op .cit , p . 352 .

الجبرتي : عجائب الآثار , ج٣ , ص٨٠ , مظهر التقديس , ج٢ , ص١٣٩ .

(٢٠٧) M.J.Marcel : op . cit , p . 133

عبد الرحمن الرافعي : تاريخ الحركة القومية , ج٣ , ص ص ٥٠ – ٥٣ .

عن حامية الرحمانية وقلعتها أنظر : عبد الله هبالة : مرجع سابق , ص ص ٥١ – ٥٣ .

(٢٠٨) De la jonquière : L'Expédition , op. cit , T .V , P .67 , Reybaud ; op . cit , T.V , p .126 .

(٢٠٩) Dela jonquière ;journal de L'Expédition d' Egypte,Paris,Perrin,1904, p.266 .

Correspondance de Napoleon I er , publiée par ordre de L'Empereur Napoleon III , Paris 1858 – 1870 , T . V , p . 426 .

(٢١٠) M . J . Marcel : op . cit , p . 133 .

(٢١١) De la jonquière ; L'Expédition op-cit , T . V , p . 67 .

(٢١٢) Reybaud ; op . cit , T . , P . 127 .

(٢١٣) M . J .Marcel ,op .cit , p . 133 . Reybaud , op. cit , T . V , PP . 124 – 125

(٢١٤) De la jonquière ; L' Expédition , T.V , p.69 '.Reybaud ;op .cit,T.V,p 127 .

(٢١٥) بلدة سنهور البحيرة : إحدى قرى مركز دمنهور حالياً وتقع في منتصف المسافة بين دمنهور غرباً والرحمانية شرقاً , وهى غير بلدة سنهور المدينة التابعة لمركز دسوق بمحافظة كفـر الشـيخ حالياً .

(٢١٦) Ibid ; pp . 127 – 129.

(٢١٧) Correspondance ; op . cit , T . V , p . 426 .

(٢١٨) Reybaud ; op . cit , T . V , p .136 .

(٢١٩) Amed , Ryme.M ; Egypte Modern periode de La domination FranÇaise,paris, Librarie de Frimindoit, p . 134 .

(٢٢٠) Reybaud , op . cit , T .V , p . 131 .

(٢٢١) عبد الرحمن الرافعى : مرجع سابق , ج٢ , ص٦١ .

(٢٢٢) د. جلال يحيى : مرجع سابق , ص ٤٣١ .

(٢٢٣) Reybaud ;op .cit ,T . V , p . 132 ' Corrspondance ; op . cit , T.V , p . 354 .

(٢٢٤) De la jonquière : L'Expédition op.cit,T. V , pp. 87 – 88 .

عبد الرحمن الجبرتي:عجاب الآثار تحقيق حسن جوهر وآخرون,ج٣,ص٨١,مظهر التقديس , ص١٤٠ .

(٢٢٥) Courrier de L'Egypte , No . 106 .

(٢٢٦) محفظة بدون رقم فترتها التاريخية من ٩ / ٦ / ١٧٩٩ إلى ١٦ / ١ / ١٨٠١ م .
وثيقة مؤرخة في ٤ برومير من السنة الثامنة للجمهورية .

(٢٢٧) De la jonquière : L'Expédition, op . cit , T.V , p . 88 .

(٢٢٨) I dem, journal, p. 267'Reybaud,,opcit,T.V,pp.132-133

(٢٢٩) Amed Ryme ; op . cit , p . 135' Lacroix , Désire' ; op . –cit , p . 354.

(٢٣٠) Dela jonquière ; L'Expédition , T.V, p.92.Reybaud ,op – cit , T.V ,P. 133.

(٢٣١) كفربوريج : قرية قديمة من قرى مركز طنطا بمحافظة الغربية , وقد كانت متاخمة لإقليم البحيرة : أنظر : محمد رمزى : مرجع سابق , ق٢ , ج٢ , ص٩٧ .

(٢٣٢) هنرى لورانس : مرجع سابق, ص ٣٧٥.

De la jonquière ; journal , op . cit , p .267.

(٢٣٣) محفظة رقم (١٩) ملف رقم (١٦) , دوسيه رقم (٢) , رسالة من مساعد الجنرال رواز L'Adjudant Général Roize إلى القائد العام كليبر Général en chef kléber مؤرخة في ٤ نوفمبر ١٧٩٩م .وقرية نكلة (نكلا العنب) إحدى قرى مركز إيتاى البارود حاليا استوطنها الكثير من أفراد قبيلة الهنادى وبنى عونة .

(٢٣٤) عبد الله خطاب هباله : مرجع سابق , ص٦٢.

(٢٣٥) المرجع نفسه , ص٦٣.

(٢٣٦) هنرى لورانس : مرجع سابق ، ص ٥٥٣.

(٢٣٧) محفظة بدون رقم فترتها التاريخية من ١٧٩٩/١٢/١٦ إلى ١٧٩٩/١٢/٣١ ، الدوسيه رقم (١٧) ، وثيقة بدون رقم مرسلة من الشيخ محمد المسيرى بالاسكندرية إلى القائد العام الجنرال منو Ménou بالقاهرة .

(٢٣٨) د. محمد فؤاد شكرى : الحملة الفرنسية و خروج الفرنسيين من مصر ،ص ص٢٥٨-٢٦٠.

(٢٣٩) محفظة رقم (٨) ، ملف رقم (٨) ، دوسية رقم (٢) ، وثيقة مؤرخة في ٤ ديسمبر ١٨٠١ ، ١٥ فريمير من السنة التاسعة ، رسالة من الجنرال قائد الفرقة ديلجورج Le Général de brigade Délégorgue إلى الجنرال فريان Le Général friant-قائد منطقة الوجه البحري .

(٢٤٠) Rousseau , M.F ; Kléber et ménou en Egypte , dépuis le déprt Bonaparte , paris , 1900 , p . 69 .

(٢٤١) محفظة رقم ٣١ فترتها التاريخية من ١٨٠١/٥/٢٨ إلى ١٨٠١/٦/١٩ م ، ملف رقم (١٧) Etat des Traveaux des Fortification et Batiments militaire ordonne en Egypte par le général Bonaparte avec les observations de commandant du genie .

وإنشاء صهريج المياه ومخزن للمؤن الغذائية وعدة مخازن للبارود في هذه النواحي .

(٢٤٢) محفظة رقم ٣٠ فترتها التاريخية من ١٨٠١/١/٣ إلى ١٨٠١/٩/٢ م، ملف رقم (٦) Reconnaissance du village de birket et des environ avec les project d'une tour pour centenir vingt – cinq à trente homes , à 7 Aout 1800 .

محفظة بدون رقم فترتها التاريخيه من ١٨٠٠/٩/١٦ إلى ١٨٠٠/٩/٢٤ ، الدوسية رقم (٩) ، وثيقه رقم (٥) .

(٢٤٣) محفظة بدون رقم فترتها التاريخية من ١٧٩٩/٩/٢ إلى ١٨٠٠/١٢/١ ، وثيقة مؤرخة في ٤ نيفوز من السنة التاسعة .

(٢٤٤) عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الاثار ، بولاق ، ج٣ ، ص ص١٦٠،١٦٣ .

(٢٤٥) محفظة رقم ٣٤ ملف رقم (١٤) B6 -123 Introduction de Ménou pour le général Friant, au Quartier général de Caire , à 7 octobre 1800 . .

عبد الله خطاب هباله : مرجع سابق ، ص ٢٥٦ .

(٢٤٦) عبد الله خطاب هباله : مرجع سابق ، ص ٢٦٥.

(٢٤٧) محفظة رقم (١٦) فترتها التاريخية من ١٥/١٠/١٨٠٠ إلى ٢٩/١٠/١٨٠٠ م ،وثيقة رقم (٢٢) ، مؤرخة في ٣٠ ديسمبر ١٨٠١ م .

(٢٤٨) عبد الله خطاب هباله : مرجع سابق ، ص ص٦٩-٧١.

(٢٤٩) لا يزال الكثيرون ممن ينتسبون إلى هذه القبيلة يعرفون بلقب "الهنداوى" يعيشون في الرحمانية حتى اليوم و يشتهرون بالصفات العربية الحميدة .

(٢٥٠) محفظة رقم (١٦) فترتها التاريخية من ١٥/ ١٠ / ١٨٠٠ إلى ٢٩ / ١٠ / ١٨٠٠م ، ملف رقم (٢٢) ، ملحق رقم (١٦) .

Copie de la convention par Ménou aux chieks de la Tribu des Hnady , à 31 Décembre 1800 .

(٢٥١) عبد الله خطاب هباله : مرجع سابق ، ص ٢٥٧ .

(٢٥٢) محفظة رقم (١٨) ، ملف رقم (٣) دوسيه رقم (١)

Délégorgue général de brigade au général division Friant Commandant la Basse Eygpte , à Rahmanieh , à 5 Fevrier 1801 .

(٢٥٣) د. محمد فؤاد شكرى : مرجع سابق ، ص٢٧٣ .

(٢٥٤) De la jonquière : l'Expédition , op . cit , T.V , p . 393 .

(٢٥٥) سلوى العطار : مرجع سابق : ص ص ١٦٧ – ١٦٨ ، ١٧٣ .

(٢٥٦) Charles –Roux , FranÇois : L' Angleterre et L'Expédition FranÇaise en Egypte , le Caire , 1925 , T. II , pp . 167 – 168 .

(٢٥٧)نيكوبوليس Ncopolis أو مدينة النصر ، كانت تسمى مدينة قيصر وتقع على مرتفعات مصطفى باشا برمل الإسكندرية بجوار منطقة سيدى جابر الشيخ ، واستخدمت معسكراً للجنود منذ العصر الرومانى و حتى خمسة عشرة سنة مضت ، ولا يزال يقع بها حتى الآن بعض منشآت المنطقة العسكرية الشمالية .

(٢٥٨) محفظة رقم (٣٢) فترتها التاريخية من ١١/٣/١٨٠١ إلى ٢/٩/١٨٠١ ، وثيقة مؤرخة في ٢٣ فنتور من السنة التاسعة ، رسالة من فريان إلي منو B6-76 .

(٢٥٩) عبد الرحمن الجبرتى : عجائب الاثار ، بولاق ، ج٣ ، ص ص١٩٣-١٩٤.

(٢٦٠) د . محمد فؤاد شكرى : مرجع سابق ، ص ٥١٩.

(٢٦١) المرجع نفسه : ص ص٥٢٤- ٥٢٥ .

Walsh, Thomas : Journal Of the late Campaign in Egypte London, 1803, pp.1o7-108.

(٢٦٢) محفظة رقم (٣٢) فترتها التاريخية من ١٨٠١/٣/١١ إلى ١٨٠١/٩/٢ ، وثيقة مؤرخة في ٢٣ فنتور من السنة التاسعة ، مرسلة من فريان إلى منو B6-76 .

(٢٦٣) Thomas walsh : journal op.cit, pp. 107-108 .

(٢٦٤) ج . كريستوفر هيرولد : مرجع سابق ، ٣٩٣ .

(٢٦٥) د . جلال يحيى : مرجع سابق ، ص ١٤٣ .

(٢٦٦) محفظة رقم (٢١) فترتها التاريخية من ١٧٩٨/٦/٢٨ إلى ١٨٠٠/٧/٣١ م . الدوسية رقم (٤) ، وثيقة مؤرخة في ٤ ترميدور من السنة الثامنة .

(٢٦٧) د . جلال يحيى : مرجع سابق ، ص ٥٠٧ .

(٢٦٨) د . محمد فؤاد شكرى : الحملة الفرنسية ، مرجع سابق ، ص ٤٥٠ ،.عبد الرحمن الرافعى : مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٢٥٣ .

(٢٦٩) محفظة رقم (٣٢) فترتها لتاريخية من ١٨٠١/٣/١١ إلى ١٨٠١/٩/٢ م ، الملف الأول ، الدوسيه (٤) ، اليوميات الخاصة بحصار الاسكندرية لقائد الفرقة رينى René – قائد أركان الحرب .

(٢٧٠) Reybaud , op . cit , T.VIII ,pp . 264-265 .

(٢٧١) Thomas walsh : journal , op.cit. pp .

(٢٧٢) Reybaud ; op . cit , T.VIII , pp . 202-203

(٢٧٣) الجبرتى : عجائب الاثار ، ج ٣ ، ص ٢٧٥ .

(٢٧٤) د.محمد عبد الحميد الحناوى : خليج الاسكندرية و دوره التاريخى إبان عهد الحملة الفرنسية ١٧٩٨- ١٨٠١ ، مجلة الانسانيات ، كلية الآداب – جامعة الاسكندرية ، فرع دمنهور ، العدد الاول – السنة الثالثة ٢٠٠٠ ،ص ١٤٨ .

(٢٧٥) Thomas walsh : journal , op . cit , pp . 92-93 .

(٢٧٦) د. محمد فؤاد شكرى : مرجع سابق ، ص ٥٢٧ .

(٢٧٧) محفظة رقم (٣٢) فترتها التاريخية من ١٨٠١/٣/١١ إلى ١٨٠١/٩/٢ م ، الملف الأول ، الدوسيه (٤)، اليوميات الخاصة بحصار الاسكندرية لقائد الفرقة رينى René – قائد أركان الحرب .

(٢٧٨) عبد الله خطاب هبالة : مرجع سابق ، ص ٧٩ .

(٢٧٩) Thomas walsh ; op . cit , p . 43 .

(٢٨٠) عبد الله خطاب هبالة : مرجع سابق ، ص ٨٢ .

(٢٨١) محفظة رقم (١٤) ، ملف رقم (٧) B6-131

Ordre en chef de Brigade Cavalier de parties à 24 Avril 1801.

محفظة رقم (٣٢) فترتها التاريخيـة ١٨٠١/٣/١١ إلـى ١٨٠١/٩/٢ م ، الملـف الأول ، الدوسية (٤) ، يوميات الحصار للجنرال رينى René – قائد أركان الحرب ، حوادث ٢٤ فلوريال من السنة التاسعة .

(٢٨٢) Reybaud : op . cit , T.VIII , PP . 212-214 .

د . محمد فؤاد شكري : مرجع سابق ، ص ٥١٩ .

كوم شريك : إحدى قرى مركز كوم حمادة حاليا ، و تنسب إلى الصحابى شر ك بن يغـوث المرادى الذي صاحب عمرو بن العاص في الفتح الثاني لمصر .

أنظر : محمد رمزى : مرجع سابق ، ق ٢ ، ج ٢ ،ص ص ٣٣٩-٣٤٠ .

(٢٨٣) Reybaud : op . cit , vol . I , pp . 387-388 .

(٢٨٤) محفظة رقم (٣٢) فترتها مـن ١١ / ٣ / ١٨٠١ إلـى ٢ /٩ / ١٨٠١م ، الملـف الأول ، الدوسيه (٤) ، اليوميات الخاصة بحصار الإسكندرية لقائد الفرقـة رينـى René – قائـد أركان الحرب .

(٢٨٥) Paton ; op . cit , vol . I, pp . 387 – 388 .

(٢٨٦) Déscription de l'Egypte , T. XIII, pp . 316 – 317 .

(٢٨٧) Ibid , pp . 316 – 317 .

والسكين Squin هو عملة ذهبية ايطالية لأهل البندقية (فينسيا) .

(٢٨٨) محفظة بدون رقم فترتها التاريخية من ٢٠ / ٦ / ١٨٠١ إلى ٢٢ / ٧ / ١٨٠١م ، وثيقـة رقم ٦٣٧ ، B6 مؤرخة في ٣٠ مسيدور من السنة التاسعة .

(٢٨٩) محفظة رقم (٢٩) ، ملف رقم (٦) ، دوسيه رقم (١)

L´Adjudant Général Boyer au Général en chef Ménou à Shebrekeit .

(٢٩٠) محفظة برقم قديم (٤) فترتها التاريخيـة مـن ١١ /١ / ١٨٠١ إلـى ١٠ / ٢ / ١٨٠١م ، الدوسيه (٣) ، وثيقة مؤرخة في ٢٦ نيفوز من السنة التاسعة .

الملاحق

الملحق رقم (١): خريطة لإقليم البحيرة عند مجيء الحملة الفرنسية عام ١٧٩٨م توضح مناطق انتشار وتجمعات القبائل العربية داخل الإقليم .

الملحق رقم (٢) : خريطة توضح المنطقة الشمالية الغربية من إقليم البحيرة وخط سير القوات الفرنسية المتجهة من العجمي غرباً وحتى أسور الإسكندرية شرقاً ومناوشات قبائل أولاد علي والهنادي لتلك القوات حتى دخولها الإسكندرية .

الملحق رقم (٣):رسالة موجهة من الجنرال ديليجورج G. Délégorgue قائد الرحمانية عن أسماء القبائل العربية التي تقطن منطقة الرحمانية وعادات عربانها موجهة إلي الجنرال بواية G. boyer مؤرخة بالرحمانية في ٥ برومير من السنة التاسعة / ١٧أكتوبر ١٨٠٠م .

المصدر: الملف رقم (٧) ، محفظة رقم (٣) ،فترتها التاريخية من ١٧٩٩/٩/٢م إلي١٨٠١/١٢/١م.

الملحق رقم (٤) :معاهدة سلام موقعة بين القائد العام للجيش الفرنسي الجنرال مينو G. Ménou ومشايخ قبيلة الهنادي ومعنونة " باسم الله الرحمن الرحيم، ولا إله إلا الله محمد رسول الله " (صلى الله عليه وسلم)،ومكونة من ثمانية بنود ، مؤرخة في ٣٠ ديسمبر ١٨٠٠ ، تحت رقم (٢٢) .

المصدر : المحفظة رقم(١٦) فترتها التاريخية من ١٨٠٠/١٠/١٥م إلي ١٨٠٠/١٠/٢٩م .

الملحق رقم (٥) : رسالة موجهة من قائد الفرقة الجنرال ديليجورج G . Délégorgue بالرحمانية إلي الجنرال فريان G. Friant القائد الحربي لمنطقة الوجه البحري ، وتدور حول مفاوضات الصلح بين القيادة الفرنسية وشيوخ عربان البحيرة من قبائل الهنادي والجميعات،وثيقة مؤرخة في١٥ فريمير من السنة التاسعة/٤ديسمبر ١٨٠١م

المصدر :دوسية رقم (٢) ، ملف رقم (٨) ، محفظة رقم (٨) فترتها التاريخية من أبريل ١٨٠٠م إلي ٣١ ديسمبر ١٨٠١م .

الملحق رقم (٦): الأمر اليومي رقم (٥٦) الصادر بتاريخ ٢٠ فريمير من السنة التاسعة / ٩ ديسمبر ١٨٠١م من القائد العام للجيش الفرنسي الجنرال مينو G.Ménou بإعدام الشيخ سليمان محمد – شيخ البلد بقرية سنهور .

المصدر :الملف رقم (٨) ، دوسية رقم (٢) ، بالمحفظة رقم (٨) فترتها التاريخية من أبريل ١٨٠٠م إلي ٣١ ديسمبر ١٨٠١م .

البحر الأبيض المتوسط
شمال
خليج أبوقير
بحيرة أبوقير (المعدية)
بحيرة إدكو
الإسكندرية
المنتزه
العجمي
الهنادي
أولاد علي
بنو عون
بنو سليم
الأزرق
طرهونة
الحراب
البيضا
الكرمي
أكمة العوالي
الجبالي
السينة
ابن وافي
أبو كريم
السمالوسي
الباجي
بركة غطاس
البرجية
غزالة
الباجي
الطروانة
الجميعات
الجبارنة
مطريد
الغواير
الهنادي
الجرابي
الهبوارة
الطروانة
الحمايدة
بني عونة
الجويلي
ذكلا العنب
جويلي
الجبالي
أولاد علي
طرهونة
البراعصة
شابور
كوم شريك
الخطارة
الرحمانية
الفرستق
دمنهور
المحمودية
الدلتا
الغربية
القبائل العربية في البحيرة
في أواخر القرن الثامن عشر
مقياس الرسم
كيلومتر
١ : ٤٠٠٠٠٠ سم
المصدر : إعداد وتصميم الباحث

الملحق رقم (١)

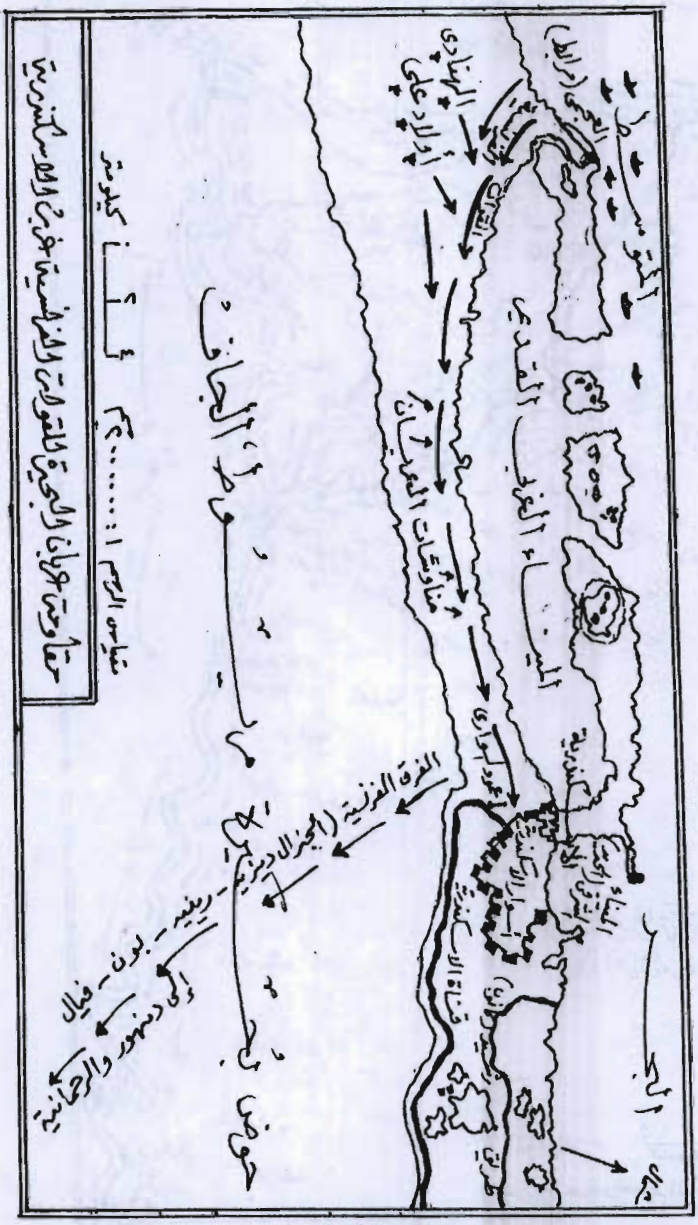
البحر المتوسط
البحر الأحمر
الميناء الغربي القديم
الميناء الشرقي
مدينة الإسكندرية
قناة الإسكندرية
طريق
أبو قير
الفرقة الفرنسية (الجنرال دوزيه)
رشيد - بولاق - فيلا
إلى دمنهور والرحمانية
أبو قير
الناحية
مناورات العربان
أبو قير
البحيرة
مقياس الرسم ١ : ٢٥٠٠٠٠٠ سم = ٢٥ كيلو متر
خطوط سير العربان البحيرة للقبض على الفرنسيين خارج الإسكندرية

الملحق رقم (٢)

Bivouac à Delbeigue 4e Vendémiaire an 9

Renseignements donnés par l'adjudant-général Boyer au journal de brigade Delbeygue à son arrivée à Rahmanié le 2e vendémiaire an 9 dernier :

Les tribus arabes de Rakhmanieh, sont

Les Hemadis,
Les Gamaatem,
Les Behargi
Les Banassmir,
Les Frats
Les Maraptiés et les Sokhiarahs.

Elles étaient toutes campées à [illegible], leur existence est le mal, leur demeure est habituellement le désert, mais sans cesse des partis de cavalerie rôdent la province, dévalent la campagne, dévastent et causent la désolation.

Les points où se trouvent actuellement les troupeaux de ces tribus sont : El Rhosch, Marianh, Lustkais, Zimmerman entre El Kou et El Ka Kirsch, enfin le long du désert en remontant vers Berrane.

L'exploitation des dits de station fait quelquefois leur application nécessaire ; ce point est à deux jours du Bil, dans le désert de Libye ; la route la plus fréquentée pour y venir de Berranié

Photo sur gueldgia cheikh

Brave cheik du village d'Elkoudié, près de Kabakaty

الملحق رقم (٣)

Il y a 3 lieues de Damanour vers le Nord à 3 lieues d'Etkoche au Sud.

Dans la pointe de l'Ouest, le centre de la province est Etkoche, il y a 3 lieues de Birket, 5 de Damanour et 7 d'Alexandrie.

Sur le bil, le centre de la province est Biolet, bonnes gens, bon chiek.

Briaues cheikhs à qui je puis avoir confiance.

Le cheikh de Bramanié sur le canal Abouchial de Rhamanié à 3 lieues.

Celui de Damanoure.

M. Chahouan à 10 lieues de Rhamanié sur le Nil.

M. celui de Rhamanié

Comme Chiek vers Semanié à 2 lieues sur la limite de la province vers Gizeh.

A de différer

Ibrahim Chaouiga de Damanour, exploitant qui fait le obligeait

Richa Chaouiga
Abdalas Chaouiga
Chiif Chaouiga
} de Damanour

Chiek Zimmeranes à 8 lieues d'ici près Richeh au centre de la province.

Il faut protéger le village de Semchoun contre les brigandages de son chiek Sobiman Mohamed.

A Rachmanié le 5 brumaire an 9

Le général de brigade

Delegorgue

الملحق رقم (٤)

Convention accordée par le Général en chef aux chefs de la tribu des Hanadis

Au nom de Dieu clément et miséricordieux
Il n'y a de Dieu que Dieu, et Mahomet est son
Prophète.

Copie de la Convention accordée le 11 vendémiaire an 9 de la République par le Général en chef Jacques Abdallah Menou, Commandant en chef l'armée d'Orient, aux chefs arabes chargés de deux chefs de Mombamettin, le chef Omar Abouchabib chef Sebin, tous les deux chefs de la tribu des Hanadis.

Art. 1er. - Le général en chef accorde protection et sûreté dans tous les arrondissements de l'Egypte aux deux chefs ci-dessus nommés, ainsi qu'à leur tribu; et, dès aujourd'hui, ils pourront librement faire leur commerce, de faire rentrer leurs dépouilles, chevaux et troupeaux dans les endroits qu'ils jugeront convenables.

Art. 2. - Le général en chef ordonne aux dits chefs et à leur tribu de vivre en bonne harmonie avec les Français, ainsi que ceux de la présente convention, d'être parfaitement soumis au général en chef et à tous les généraux commandant les arrondissements, et de considérer les ennemis des Français comme les leurs propres.

Art. 3. - Le général en chef ordonne que lesdits chefs et leur tribu se rendent de vingt-quatre à vingt-quatre heures à ceux qu'il ne soit fait aucune insulte aux Français, d'empêcher à ce qu'il ne soit aucun vol fait et commis ni viol dans aucun des villages de la commanderie de l'Egypte, soit en particulier ou en général. Et pareillement

d'insulter aucun Français, ou de paroles qui leur soient attachées ; au contraire, il leur est enjoint de leur prêter aide et secours en toutes circonstances.

Art. 4. — Le général en chef accorde aux deux cheikhs susdits nommés de emparer à la personne d'un des principaux de Rahmé et d'Alexandrie pour servir les généraux Français et Delegangues, afin que leur nomination soit connue de tous les habitants du présent accord afin qu'il leur soit ensuite permis de traiter librement des commerces qui leur seront favorables, jusqu'à nouvel ordre.

Art. 5. — Le général en chef ordonne aux deux cheikhs susdits désignés de fournir aux Français, lorsqu'il leur en sera requis, tous les chameaux dont ils pourront avoir besoin à un prix modéré, qui leur sera payé après l'arrivée de chameaux.

Art. 6. — Le général en chef accorde aux deux cheikhs susmentionnés, ainsi qu'à leur tribu, que pendant le temps qu'il y a de bonne amitié des Français, aucun des deux cheikhs susdits ne pourra entretenir aucune correspondance avec aucun général en chef, ou avec aucun général plus élevé que le susmentionné.

Art. 7. — C'est en récompense des services que les deux cheikhs susdits désignés ont rendus aux Français que le général en chef accorde protection et sécurité aux deux cheikhs susmentionnés, ainsi qu'à leur tribu ; il les autorise que les Français maintiendront et entretiendront leurs accords si les deux cheikhs et leur tribu n'y contreviennent pas ; mais encore de combattre contre les Français, et s'ils donnent l'attendue d'être travaillés en chargé pendant qu'ils seront.

Art. 8. — Le cheikh Kobari Abou Chaaref et le deux cheikh de Mambarakia, le cheikh Amer Abou Abdila cheikh de Mambarakia, et tous les principaux chefs des Bédouins sont en leur nom qu'au nom de leur tribu, promettent et jurent devant Dieu et Mahomet son prophète de suivre strictement les conditions susmentionnées, en foi de quoi ils ont signé et scellé le présent, ainsi que le général en chef.

Rahmanieh le 15 frimaire an 9

Le général de brigade Belgrand-
au général de division Friant, commandant dans la Basse
Egypte.

Général,

Jevais vous faire le détail de tout ce qui s'est passé entre-
nous et les Arabes, depuis le 11, que je vous ai écrit de
Damanhour. Cambacarès et Ibrahim Bey, chefs des Arabes,
dont j'eus l'honneur de vous parler dans cette lettre, m'avaient
promis de me revoir sous quatre jours et qu'il n'arriverait
en otages des deux emplacés. En effet, il est arrivé ici le 14,
accompagné de son ami Mahamet Aboubé Monaïdi, com-
mandant la cavalerie des tribus Guadis. Je leur dis que je
n'avais pas le pouvoir de traiter de paix avec eux, que
j'étais sous les ordres de vous divisionnaire, mais que
en chef, qui daignerait déterminer les conditions à ces égards, mais
que je savais que nos intentions n'étaient pas de faire une
paix particulière avec eux. Il me répondit que cela
servait comme nous souhaitions, mais que dans tout la
tribu ne voulait pas se soumettre comme Mourads Bey avait
avec les Français. Il me dit : je vais écrire les intentions de
tes princes et de Français à tous les chefs de la tribu, et,
s'ils ne veulent pas faire la paix, ils nous trouveront bien prêts
de combattre avec toi contre eux. Je lui ai répondu que nous
le remercions de ce qu'il nous avait mis armés dans le cas
d'en combattre deux rendus la séance. Il dit à cela : je
ferai comme le vous dit ; je pars pour aller camper plus loin
laisse mes deux fils Othmi pour te prouver que mes
intentions sont sincères. Je vous salue, Général
Général, pour éviter tout ce qui s'est dit et passé
entre nous, afin de vous mettre parfaitement au
courant. Je leur ai dignifié de nous rendre le bagage
pris à Damanhour ou environs, ainsi que ce qui a été enlevé

الملحق رقم (٥)

le 10 près de Damanhour. Quand ils m'annoncèrent qu'ils allaient être venus de suite, mais que pour cause de Barrière, il n'en arriverait aucune connaissance ; qu'il fallait donc que la Jeune de l'autre tribu qu'on avait commis le mal ; ce qui n'a pu me faire à leur faire entendre que nous ne pouvions conclure la paix qu'avec toute, autrement nous pensions bien, bien tôt je, que vous gens voleraient bien en mettant cela sur le compte des autres ; à quoi ils ont répondu : Ils ne paissent d'être aux deux autres familles que j'avais la bonté de la totalité de la tribu. Vivier, aidé-major général, ne quitte pas mon monde : au chefs Omar Abouchabib et Mahamed Aboudmaa

Je vous prévient que je dois conclure la paix avec le chefs des tribus des Gradis Cambary Abouchara Eddy et Mahamed Aboubeb Mesraïd. Si vous voulez faire comme eux, il sera en même temps ; réunissez vous tous ils qui a 17... et vous verrez le général en chef Menou chagrin à vous bien traiter autrement, il est révolté, ainsi que le général divisionnaire d'Alexandrie, à vous faire une guerre cruelle. »

Ils m'ont promis que dans dix jours, ils arriveraient officiellement pour aller avec un officier français près du Grand sultan français ; qu'ils espéraient qu'il déciderait les chefs des quatre tribus réunis, qu'autrement ils viendraient toujours demander la paix. Ils m'ont demandé de cesser toutes hostilités jusqu'à cette époque, et s'ils m'avaient assuré qu'ils ne tenteraient pas à nous voler, puisqu'ils me donnaient comme fils chéris, que j'ai eu devoir compter sur leur présence au Bey chef de Wahmanieh. Ils me firent ensuite dire qu'ils ne tarderaient pas trois ou à leur arrivée dans leur campagne si je ne leur donnais aucune nouvelle. Je leur ai répondu que c'était le général en chef qui faisait ces cadeaux quand on l'a mérité, et que d'ailleurs nous avons campagne je n'avais aucun de ces effets. Ils me témoignèrent

3

ici une amie plus d'empressement de me rendre quelque chose de mon précédent ; mon aide de camp le certain Sabonagi, mon aide de dispenser d'une robe qu'il avait, et l'autre vingt cinquante d'une de mes pipes, qu'il a apparemment bien choisie parmi mes dames Dangeau.

Le 14, je suis au devant de Damanhour, pour aller à la découverte de mes grands Beys et avant d'arriver à Damanhour, j'apprends des Arabes avec un mouvement triomphant qui flattait mon amour, je trouve dessus, les Arabes finissent au Pharaonique 180 Arabes et 80 chevaux ; ils Turcs ne font rien de bien remarquable ; ils ont, et le capitaine Chantarèle me mande que j'aurai les mêmes, ils ne coûteront pas moins d'argent. Ils étaient forcés de leurs victimes ; de ce qui restait de se passer ; ils m'avaient demandé la vie, ils ne se rendirent ; j'ai eu, intérim général, obtenir par Damanhour d'Allemagne, ils ont ne tiennent pas ; j'ai la dame respect avec regret pour toujours la maintenir ; et il le faudrait ; toujours j'ai eu bien faire ; ils ont été très embarrassés dans ces circonstances. Je serais bien fâché de ce contre temps ; si je n'avais prévu que cette expédition déterminera tout à fait les autres puissances à la pacification. J'allume aussi à ce sujet mon ministre pour recevoir des ordres très détaillés, réfléchissez ; Paris, colonies général, pour bien détail complet au journal, cependant, je le suis très redevable pour toutes de tout ce que les circonstances m'ont obligé de faire. Je souhaite bien avoir rempli vos vœux et celles du général en chef à qui je rendrai compte par la même occasion ; ils m'aient pas d'autre but que celui là, et je me trouverai toujours heureux de faire plaisir à Kléber.

Pendant quelques jours au chef de la tribu de Damanhour ; il m'avait été très agréable qu'il a bien du plaisir à rencontrer la paix avec nous ; et j'ai incessamment reçu il m'écrira pour voir ; c'est ce chef avec qui le général en chef a fait la paix en arrivant devant notre dépendance.

J'ai laissé tous les grains que le général en chef devait nous envoyer ; ils sont tous destinés pour Rosette où il va être besoin

...ublino les habitants travailleront sans interruption.

Dans six jours, aussitôt que le général en chef sera rentré au Caire, il ordonnera les grands travaux nécessaires pour mettre le fort de Rahmanieh à l'abri d'un coup de main.

Il aurait été bien à propos d'envoyer le 8th de dragons, soit à Sanhour, soit à Damanhour, ce qui produirait un très grand effet dans le pays. Malgré que nous ayons de beaux jours qui lui apportent beaucoup, il est à craindre que le mauvais temps ne vienne bientôt. Celui qui me l'a fait prévoir, le général en chef me dit ici, le lui remettre, c'est le savoir, dit-il, sans pouvoir en arrêter les fâcheux résultats à la campagne.

J'ai appris ce matin que le général en chef fera des gratifications aux volontaires qui ont arrêté le brigand. Sachez-moi le gré de vous encourager le bataillon, que j'ai vu ce matin, je sais que tout doit bien, je ne vois en cela que de l'intérêt bien entendu de la part de l'armée, car ces hommes sont maîtres en arrivant au camp du pays, ils encouragent les habitants. Si vous trouvez, mon bon général, convenable que je vous aide à établir mes postes gardés par un officier, je vous prie de m'envoyer les tableaux et bordereaux, ils seront bien faits. Signés de votre chef, aussi pour moi, je vous, et vous aussi, cela sera très facile.

Le commandant de Damanhour me mande que le nommé Daoud le cheikh de Sourâil, conformément aux ordres que je lui ai donnés jusqu'à ce qu'il m'ait rendu le bétail, est apparemment à Rahmanieh. Il n'a pas de réponse pour vous, que le capitaine Beaufort qui l'a arrêté a, le général en chef lui donne. Je vous, citoyen général, pour l'avoir arrêté.

Le 16 au matin, il m'arrivé à l'instant un agent du sic Bleu pour parvenir la succession de Sélim aux Mahamoud. Je vous envoie la réponse à Damanhour pour le retourner de quelque à Rosette, sa tranquillité, le Prophète. Le cheikh est toujours dévoué lorsqu'il ne fait rien.

Il y a une autre chose à vous dire, citoyen général, c'est que nous manquons de fusils arabes. Je vous le demande de vous vouloir

Salagourgue

LIBERTÉ.

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

Au quartier-général du Kaire, le 20 frimaire an 9 de la République Française, une et indivisible.

Ordre du jour, du 20 frimaire an 9.

AU NOM DE DIEU CLÉMENT ET MISÉRICORDIEUX.

Il n'y a de Dieu que Dieu, et Mahomet est son Prophète.

MENOU,

Général en Chef de l'Armée d'Orient, et y représentant le Gouvernement de la République Française ;

Aux Habitans du Kaire et de toute l'Egypte.

Soleyman Mohhammed, cheykh el-beled du village et canton du Sanhour en Bahhyréh, s'était rendu coupable depuis long-temps des crimes les plus atroces, commettant par-tout des vols et des assassinats. Il avait rempli d'effroi les provinces de Bahhyréh, de Rosette et de Gharbyéh ; il a en outre contribué puissamment à la révolte de la ville de Damanhour contre les Français, il y a environ deux ans. Là, il se rendit coupable du plus noir des crimes, et fit égorger une grande quantité de Français qui le croyaient leur ami. Cet homme reprouvé par Dieu et par son prophète, mérite la mort ; j'ai ordonné qu'on lui tranchât la tête. Il en arrivera autant à tous ceux qui se conduiront comme lui. Oh ! habitans d'Egypte ! que cette punition du coupable Soleyman Muhhammed, vous serve d'exemple ! Je suis profondément affligé, quand je suis obligé de punir ; mais la justice, qui vient de Dieu, et mes devoirs, l'exigent.

Cette proclamation sera imprimée en français et en arabe, publiée et affichée dans toute l'Egypte. Les généraux et officiers commandant les provinces et les places, la feront répandre dans toute l'étendue de leur commandement.

Signé MENOU.

الملحق رقم (٦)